الفصل الثاني

أصول الدعوة

ويشتمل على مقدمة ، ومبحثين :

١ ـ أدلة الدعوة ومصادرها .

٢ ـ أركان الدعوة : الداعي ، المدعو ، موضوع الدعوة .

مقدمة بين يدي أصول الدعوة

إذا كانت أصول العلوم تعني : قواعدها وأسسها التي تبنى عليها أحكامها ، فإن أصول الدعوة تَعني : تلك القواعد والأسس ، والمبادئ التي تبنى عليها الدعوة .

وإن أي دعوة لا تقوم على قواعد سليمة ، وأسس صحيحة ، ومبادئ قويمة ، لهي دعوة باطلة لاتؤدي إلى خير .

وإن أي جهل بقواعد وأسس ومبادئ الدعوة ، يجعل الداعية يدعو على غير بصيرة ، فيخبط في دعوته خبط عشواء ، وقد يضر من حيث يريد النفع ، ويسيء من حيث يريد الإحسان ،

والدعوة الإسلامية أحق دعوة يجب أن يُعنى بأصولها ، لأنها دعوة العباد إلى الله عز وجل ،

والطريق إلى الله ، لايستغني السالكُ فيه ، والدالُّ عليه عن هدي كتاب الله ، وسنة نبيه ﷺ ، لأن القرآن الكريم هو الكتاب الذي يهدي للتي هي أقوم ، ولأن السنة النبوية هي المحجة البيضاء ، التي من سار عليها لايضل أبداً ...

ومبادئ الدعوة الإسلامية ليست أموراً اجتهادية تترك للعقول البشرية أن تَضَعها كما تشاء ، وإنما هي أحكامٌ شرعية ، ومعالم ربانيّة نَصَّ عليها القرآن الكريم ، وأوضحتها السنة النبوية ، وحملها إلى الناس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ومن تبعهم بإحسان.

ومجال الدعاة فيها محصور في صياغتها وأسلوب عرضها بالشكل

الذي يُقرّبها من العباد ، ويُحبّبها إليهم ليقبلوا عليها ويتمسكوا بها .

وقد سبق معنا في بحث « المصطلحات » أن مصطلح أصول الدعوة : يشمل أمرين أساسيين ، هما :

١ ـ أدلة الدعوة ومصادرها .

٢ ـ أركان الدعوة .

وقد جعلت كل أمر من هذين الأمرين في مبحث مستقل تحت هذا الفصل من الكتاب .

* * *

المبحث الأول

« أدلة الدعوة الإسلامية ومصادرها »

يمكننا تفصيل أدلة الدعوة الإسلامية ومصادرها على وجه يشمل جميع ما تستند إليه الدعوة أو تسترشد به ، وتستمد منه ، فتصبح خمسة مصادر أساسية ، وهي :

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ السنة النبوية الشريفة .

٣ ـ السيرة النبوية المطهرة .

٤ ـ سيرة الخلفاء الراشدين .

٥ ـ وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر .

كما يمكننا إجمال الأدلة والمصادر جميعها في نوعين أساسيين ، هما :

١ ـ الأحكام الشرعية المعتمدة على الأدلة الشرعية : الأصلية منها والتبعية : الكتاب والسنة ، والإجماع والقياس ، والاستحسان ، والاستصلاح والاستصحاب وما إلى ذلك :

٢ ـ التجارب العملية الصادرة عن العلماء والدعاة في ضوء تلك الأحكام الشرعية .

وسأقتصر في هذا المقام على التعريف بتلك المصادر الأساسية ، وبيان خصائصها دون التعرض لأمور أخرى تتعلق بها ، وذلك مراعاة لطبيعة الموضوع وحاجة الدعاة ، مع ملاحظة الاستغناء عن ذكر دليل

الإجماع والقياس من الأدلة الأصلية ، وغيرهما من الأدلة التبعية التي تذكر في كتب أصول الفقه . لرجوعهما في الحقيقة إلى الكتاب والسنة ، واختصاص العلماء بها من جهة ، ولاعتماد العلماء والدعاة عليها في تعاملهم مع الوقائع والأحداث من جهة أخرى .

١ ـ المصدر الأول :

« القرآن الكريم »

تعريفه :

أ ـ في اللغة : القرآنُ : مصدر قَرَأَ يقرأ ، وقيل في أصول اشتقاقه غير ذلك ، يقول الراغب الأصفهاني في كتابه « المفردات في غريب القرآن » :

« والقرآن في الأصل مصدرٌ نحو : كُفْران ورجْحان ، قال : ﴿ إن علينا جَمْعَهُ وقُرآنه ، فإذا قَرأْناهُ فاتَّبِع قُرْآنه ﴾ قال ابن عباس : إذا جمعناه وأثبتناه في صدرك ، فاعمل به ،

وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد ﷺ ، فصار له كالعَلَم ، كما أن التوراةَ لِمَا أنزل على موسى ، والإنجيلَ على عيسى صلى الله عليهما وسلم ،

قال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب الله لكونه جامعاً لثمرة كتبه ، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم كما أشار تعالى إليه بقوله : ﴿ وتفصيل كل شيء ﴾ وقوله : ﴿ تبياناً لكل شيء ... الخ ﴾ [١] .

---

(١) « المفردات في غريب القرآن » ص ٤٠٢ ، تحقيق محمد سيد كيلاني .

ويقول محمد عبد العظيم الزرقاني في كتابه « مناهل العرفان في علوم القرآن » :

« وعلى الرأي المختار : فلفظ « قرآن » مهموز ، وإذا حذف همزه ، فإنما ذلك للتخفيف ، وإذا دخلته « ال » بعد التسمية فإنما هي لِلمْحِ الأصل لا للتعريف .

ويُقال للقرآن : فرقان أيضاً ، وأصله مصدر كذلك ، ثم سمي به النظم الكريم تسميةً للمفعول أو الفاعل بالمصدر ، باعتبار أنه كلام فارق بين الحق والباطل ، أو مفروقٌ بعضه عن بعض في النزول ، أو في السور والآيات ، قال تعالى : ﴿ تَبارَكَ الذي نَزَّلَ الفُرقانَ على عَبْده ليكونَ للعالَمين نَذيراً ﴾ .

ثم إن هذين الاسمين هما أشهر أسماء النظم الكريم ، بل جعلهما بعض المفسرين مَرْجع جميع أسمائه ، كما ترجع صفات الله على كثرتها إلى معنى الجلال والجمال ،

ويلي هذين الاسمين في الشهرة هذه الأسماء الثلاثة : « الكتاب ، والذكر ، والتنزيل ... الخ »[1] .

ب ـ وفي الاصطلاح :

اختلفت أساليب العلماء في تعريف القرآن الكريم في الاصطلاح ، فذهب بعضهم إلى الاختصار والإيجاز ، وذهب آخرون إلى التفصيل والإطناب ، ولعل من أقصر مايمكن أن يُعَرَّف به أنه :

---

(١) انظر « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني (١/٧ و ٨) ، ط : عيسى البابي الحلبي .

« كلام الله عز وجل ، المنزل على رسوله ﷺ ، المنقول عنه بالتواتر ، المتعبدُ بتلاوته » .

كما يمكن أن يفصل في التعريف بالتوسع في ذكر أهم خصائصه ، فيقال هو :

« كلام الله عز وجل ، المنزل على رسوله ﷺ بلسان عربي مبين ، المنقول إلينا بالتواتر ، والمتعبد بتلاوته ، والمكتوب في المصاحف ، والمعجز في لفظه ومعناه ، والمبدوء بسورة الفاتحة ، والمختوم بسورة الناس »[1] .

فخرج بقولنا « كلام الله » كلامُ غيره من المخلوقات ، وبقولنا « المنزل على رسوله ﷺ » ما نُزِّل على غيره كالتوراة والإنجيل ، ومالم ينزل من كلامه سبحانه على أحد ، وبقولنا « بلسان عربي مبين » مانزل بغير العربية ، وبقولنا : « المنقول بالتواتر » مالم ينقل بالتواتر ، كالقراءات المشهورة والآحاد ، وبقولنا « المكتوب في المصاحف » مانسخ من القرآن بلفظه مما أشارت إليه السنة ، وقولنا « المعجز في لفظه ومعناه والمتعبد بتلاوته » الأحاديث النبوية والقدسية ، فهي وإن كانت وحياً في حقيقتها ، فإنها غير معجزة بلفظها ومعناها ، وغير متعبد بتلاوتها ، لأن معناها من الله عز وجل ، ولفظها وصياغتها من رسول الله ﷺ ـ وإن اختلفت القدسية عن النبوية في الصياغة والأسلوب ـ وهكذا ...

---

(١) انظر كلاماً مفيداً حول أساليب العلماء في ذلك في « مناهل العرفان » (١/١٢ ـ ١٤) .

خصائص القرآن الكريم :

تختلف أساليب العلماء في عَدِّ خصائص القرآن الكريم ، فمن مقتصر على الخصائص التي تدل عليها قيود التعريف السابقة ، ومن مضيفٍ عليها الخصائص العامة المأخوذة من الخصائص العامة للإسلام .

ولما كانت الخصائص العامة للإسلام مستخلصة من خصائص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وراجعة إلى خصائصه ، رأيت أن أسلك طريقة التفصيل ، فأذكر للقرآن ما أمكن من خصائص ، بادئاً بالأعم منها فالأعم ، وموضحاً لكل خصيصة بالمقدار الذي يُجلي معناها العام ، مع الاستدلال على كل خصيصة ، والإحالة على بعض المراجع والمصادر فيها .

فمن خصائص القرآن الكريم :

١ ـ الرّبانية : وهي نسبة إلى الرب سبحانه وتعالى ، وهي أم الخصائص ومصدرها جميعاً ، إليها ترجع الخصائص الأخرى [١] .

ومادام القرآن الكريم كلامَ الله عز وجل ، فهو ربانيٌّ بكل ماتحتمله هذه اللفظة من معانٍ ، لا دخل لبشر فيه أبداً ، لا من حيث اللفظ ولا من حيث المعنى ، فهو الكتاب العزيز ، والذكر الحميد قال تعالى عنه :

﴿ فلا أُقْسِمُ بمواقع النجوم ۞ وإنه لَقَسَمٌ لو تَعْلَمون عظيم ۞ إِنهُ لقرآنٌ كريم ۞ في كتابٍ مَكْنون ۞ لا يَمسُّه إلا المُطَهَّرون ۞

---

(١) انظر تفصيلاً لخصيصة « الربانية » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور : يوسف القرضاوي ـ الطبعة الثانية من ص : (٩ ـ ٥٥) .

تَنْزيلٌ من رَبِّ العالمين ﴾ [1] .

وقال أيضا :

﴿ لو أَنْزلنا هذا القرآنَ على جَبَلٍ ، لَرأيتَهُ خاشِعاً مُتَصَدِّعاً مِنْ خَشْيةِ الله ... ﴾ [2] .

٢ ـ الكمال : وهي بمعنى « الخلو عن النقص والعيب » ، وهي أثر للخصيصة الأولى « الربانية » فكلام الله عز وجل المنزه عن كل نقص وعيب كامل أيضاً ، قال تعالى :

﴿ وإنَّهُ لكتابٌ عزيزٌ * لايَأْتيهِ الباطلُ من بَيْنِ يدَيه ولا مِنْ خَلْفِه ، تنزيلٌ من حكيمٍ حَميد ﴾ [3] .

وقال أيضاً :

﴿ قرآناً عربياً غير ذي عِوج لعلهم يتقون ﴾ [4] .

٣ ـ الوضوح : وهي « الإبانةُ » ويقابلها « الغموض »[5] ، قال تعالى في وصف كتابه :

﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتاب مُبين * يَهْدي به الله من اتَّبعَ رِضْوانَه سُبُلَ السلام ، ويُخْرجهم من الظلمات إلى النور

---

(١) الآيات / ٧٥ ـ ٨٠ / من سورة الواقعة .

(٢) الآية / ٢١ / من سورة الحشر .

(٣) الآيات / ٤١ ـ ٤٢ / من سورة فصلت .

(٤) الآية / ٢٨ / من سورة الزمر .

(٥) انظر تفصيلاً لخصيصة « الوضوح » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص : (١٨٧ ـ ٢١٣) .

بإذنه ، ويهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ [1] .

وقال أيضاً :

﴿ وإنه لتَنْزيلُ ربِّ العالمين * نَزَل به الروحُ الأمين * على قَلْبِكَ لتكون من المُنْذِرين * بلسانٍ عَربي مُبين ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ ياأيها الناس قَدْ جاءكم بُرهانٌ من ربكم ، وأَنْزلنا إليكم نوراً مبيناً * فأما الذين آمنوا بالله واعتصموا به ، فَسَيُدْخِلُهم في رَحْمةٍ منه وفَضْل ، ويهديهم إليه صراطاً مستقيماً ﴾ [3] .

وقال :

﴿ وكذلك أَنْزلناهُ آياتٍ بيّنات ، وأَنَّ اللهَ يَهْدي مَنْ يُريد ﴾ [4] .

٤ ـ الشمول : وهي « الإحاطة » ، فالقرآن شامل لجميع مايحتاج إليه الإنسان في دنياه وأخراه ، لأنه جاء لسعادته في الدنيا والآخرة ، وهذا ما يُعبِّر عنه بعضهم : بالشمول الموضوعي ، وهو شامل لجميع الناس من زمنه ﷺ إلى يوم القيامة ، وموجَّهٌ إليهم جميعاً أينما كانوا ، وهو مايعبر عنه بعضهم : بالشمول الزماني والمكاني [5] .

---

(١) الآيات / ١٥ ـ ١٦ / من سورة المائدة .

(٢) الآيات / ١٩٢ ـ ١٩٥ / من سورة الشعراء .

(٣) الآيات / ١٧٤ ـ ١٧٥ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ١٦ / من سورة الحج .

(٥) انظر تفصيلاً لخصيصة « الشمول » في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص : (١٠٥ ـ ١٢٥) .

قال تعالى مشيراً إلى هذه الخصيصة :

﴿ مافَرَّطنا في الكتاب من شيء ﴾ [1] .

وقال أيضاً :

﴿ ونَزَّلنا عليك الكتاب تِبْياناً لكل شيء ، وهدىً ورحمةً وبشرى للمسلمين ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ﴾ [3] .

وقال :

﴿ تبارك الذي نَزَّلَ الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً ﴾ [4] .

٥ ـ التوازن : وهي « الانسجام » والائتلاف بين أجزاء الشيء ويقابلها : « التنافر والاختلاف » ، ويعبّر عنها بعضهم « بالوَسَطيّة » نسبة إلى الوَسَط [5]، ولايشترط في توازن الشيء التساوي بين أجزائه ، وإنما يكفي الاعتدال والانسجام فيما بينها ، كما يُقال عن الدَّم في جسم الإنسان إنَّه متوازنٌ مع اختلاف نسبة تركيباته كمّاً ،

---

(١) الآية / ٣٨ / من سورة الأنعام .

(٢) الآية / ٨٩ / من سورة النحل .

(٣) الآية / ١٠٧ / من سورة الأنبياء .

(٤) الآية / ١ / من سورة الفرقان .

(٥) انظر تفصيل الخصيصة (التوازن) باسم (الوسطية) في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » من ص : (١٢٧ ـ ١٥٦) .

والتوازن خصيصة متعلقةٌ بخصيصة الشمول ومكملةٌ لها ، فلا يظهر جمال الشمول إلا بالتوازن .

قال تعالى :

﴿ والسماءَ رفعها ، ووضع الميزان * ألا تَطْغَوا في الميزان * وأقيموا الوزن بالقسط ولاتُخسِروا الميزان ﴾ (١) .

وقال أيضاً عن كتابه :

﴿ أفلا يتدبرون القرآن ، ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (٢) .

فالقرآن الكريم كتاب متوازن فيما جاء به من هداية ، وما عرضه من موضوعات ، وما عالجه من مشكلات ، يحقق انسجاماً بين الروح والمادة ، وبين العقل والقلب ، وبين الحقوق والواجبات ، وما إلى ذلك من أوجه التوازن ...

٦ ـ العمليّة : وهي : (صلاحية الشيء للتطبيق والعمل به في كل زمان ومكان) ، وهذه الخصيصة تُعَدُّ ثمرةً ونتيجةً لجميع الخصائص السابقة ، فلولاها لم تكن هذه الخصيصة .

واصطلاح « العمليّة » اصطلاح خاص غير معهود في كتب الخصائص ، يرجع في حقيقته إلى الجمع بين مزايا « المثالية والواقعية » فَضَّلْتُ التعبير به تجنباً لاصطلاح المثالية والواقعية الذي يستخدمه بعض الكاتبين في الخصائص ، وذلك لما له من إيحاءات سلبية يوحي بها

---

(١) الآيات / ٧ ـ ٩ / من سورة الرحمن .

(٢) الآية / ٨٢ / من سورة النساء .

أصل نشأة كل من المثالية والواقعية كمصطلحين متقابلين .

فالقرآن الكريم كتاب عمليٌ يصلح للتطبيق في كل زمان ومكان ، كما صلح للتطبيق في عصره ﷺ ، وذلك لأنه كتاب خاتم الرسل ، ودستور خاتم الأديان ، ولو لم يكن عملياً لأنزل الله بعده كتباً أخرى ، كما أنزل الإنجيل بعد التوراة ، وأنزل القرآن بعدهما ، فسبحان من لاتنفد كلماته ، قال تعالى :

﴿ قُلْ لو كانَ البحرُ مِداداً لكلماتِ ربّي ، لنَفِدَ البحرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كلماتُ ربي ، ولو جئنا بمثلِهِ مَدَداً ﴾ (١) .

ومن مظاهر عمليته ، جَمْعُه بين التطور والثبات في أحكامه ، واشتماله على مزايا الواقعية والمثالية في تشريعاته ...(٢)

قال تعالى مؤكداً هذه الخصيصة :

﴿ قد جاءكم من الله نورٌ وكتابٌ مُبين * يَهْدي به الله من اتّبع رِضْوانَه سُبُلَ السلام ، ويُخْرجُهم من الظلماتِ إلى النور بإذْنِهَ ، ويَهديهم إلى صراط مستقيم ﴾ (٣) .

وقال أيضاً :

﴿ طه * ماأَنْزلنا عليكَ القرآنَ لتَشْقى * إلا تذكرةً لمن يَخْشىٰ * تَنْزيلاً ممن خَلَق الأرضَ والسمواتِ العُلى * الرحمنُ

---

(١) الآية / ١٠٩ / من سورة الكهف .

(٢) انظر تفصيلاً لهذه الخصيصة في خصيصة (الواقعية) ص (١٥٧ ـ ١٨٦) وخصيصة الجمع بين التطور والثبات (٢١٥ ـ ٢٥٨) في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » .

(٣) الآيات / ١٥ ـ ١٦ / من سورة المائدة .

على العرش استوىٰ * لَهُ مافي السموات ومافي الأرضِ ، ومابَيْنهما وماتحت الثَّرىٰ ﴾ [1] .

٧ ـ الإعجاز : وهي (إظهار عجز البشر بتحدّيهم بالإتيان بمثله شكلاً ومضموناً) ويمكن إجمال أوجه الإعجاز القرآني في عدة وجوه منها :

أ ـ الإعجاز البياني .

ب ـ الإعجاز التشريعي .

جـ ـ الإعجاز الإخباري (الغَيبيّ) .

د ـ الإعجاز العلمي [2]

فقد تحدى القرآن الكريم الناس جميعاً بأن يأتوا بمثله ، وذلك على ثلاث مراحل على رأي جمهور العلماء ، وعلى أربع مراحل على قول بعضهم [3] ،

قال تعالى :

﴿ قُلْ لَئِن اجتمَعَت الإنسُ والجنُّ على أنْ يَأْتوا بمثل هذا القرآن ، لايأتونَ بمثلِهِ ، ولو كان بعضُهم لبَعْضٍ ظَهيراً ﴾ [4] .

وقال :

﴿ أم يقولونَ افتراه ، قل فَأْتوا بعَشْر سُوَرٍ مِثْلِه مُفْتَرَياتٍ ،

---

(١) الآيات / ١ ـ ٦ / من سورة طه .

(٢) انظر تفصيلاً لبعض وجوه الإعجاز القرآني في كتاب « مباحث في إعجاز القرآن » للدكتور مصطفى مسلم ص (١٠٧ ...) .

(٣) انظر « مباحث في إعجاز القرآن » ص (٣٣ ـ ٣٦) .

(٤) الآية / ٨٨ / من سورة الإسراء .

وادْعُوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم يَسْتجيبوا لكم ، فاعلموا أنما أُنْزِلَ بِعِلْم الله ، وأن لا إله إلا هو ، فهل أنتم مسلمون ﴾ (١) .

ويقولن أيضاً :

﴿ أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بسورة مثله ، وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين ﴾ (٢) .

وقال أيضاً :

﴿ أم يقولون تَقَوَّله ، بل لايؤمنون * فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين ﴾ (٣) .

هذا ولايزال هذا التحدي سائر المفعول إلى يوم القيامة ، ولايزال العلماء يكتشفون أوجهاً إعجازية فيه ، كل بحسب إمكاناته وتخصصه .

ومن هنا : كان القرآن المعجزةَ الخالدة إلى يوم القيامة ، قال تعالى :

﴿ سَنُريهم آياتِنا في الآفاق وفي أَنْفُسِهم حتى يَتَبيَّن لهم أنه الحق ﴾ (٤) .

وقال أيضاً :

﴿ واللّهُ غالبٌ على أَمْرِه ، ولكنَّ أكثرَ الناس لايعلمون ﴾ (٥) .

---

(١) الآية / ١٣ ـ ١٤ / من سورة هود عليه السلام .

(٢) الآية /٣٨/ من سورة يونس عليه السلام ، وانظر الآيات /٢٣ ـ ٢٤/ من سورة البقرة .

(٣) الآيات / ٣٣ ـ ٣٤ / من سورة الطور .

(٤) الآية / ٥٣ / من سورة فصلت .

(٥) الآية / ٢١ / من سورة يوسف عليه السلام .

٨ ـ الثبوت القطعي : وتعني (اتّصال سند نقل القرآن الكريم وروايته بالنبي ﷺ ، دون انقطاع على وجه متواتر قطعي لايداخله شك إلى يومنا هذا) .

ولم تثبت مثل هذه الخصيصة لأي كتاب سماوي آخر ، وهي من مستلزمات خاصيّة حفظ القرآن ، وخلود الإسلام ...

فلو داخَلَ السندَ أيُّ شك في أي عصر من العصور ، لم تقم الحجة القاطعة بالقرآن على الناس إلى يوم القيامة .

وعلى الرغم من وجود القراءات المشهورة والآحاد ، التي يستفاد منها في التفسير واستنباط الأحكام ، فقد أجمعت الأمة على وجوب تجريد القرآن عنها عند جمعه ، فلم يُثبَتْ في المصحف إلا المتواتر المقطوع بثبوته :

يقول الإمام الغزالي :

« حَدُّ الكتاب : مانقل إلينا بين دُفّتي المصحف على الأحرف السبعة المشهورة نقلاً متواتراً . ونعني بالكتاب القرآن المنزل ، وقيدناه بالمصحف لأن الصحابة بالغوا في الاحتياط في نقله ، حتى كرهوا التعاشير والنقط ، وأمروا بالتجريد ، كيلا يختلط بالقرآن غيره ، ونقل إلينا متواتراً ، فنعلم أن المكتوب في المصحف المتفق عليه هو القرآن ، وأن ماهو خارج عنه فليس منه ... الخ »[1] .

٩ ـ الحفظ : وتعني (السلامة من التحريف ، والزيادة والنقص) ، فقد حفظ الله عز وجل هذا القرآن من أي تغيير أو تبديل ، وذلك بتهيئة

---

(١) انظر « المستصفى » للإمام الغزالي (١٠١/١) وانظر معه نقولاً أخرى مفيدة في ذلك ، ساقها الزرقاني في كتابه « مناهل العرفان » (٤٢٤/١ ـ ٤٤٨) .

من يهتم به ويرعاه من أول يوم أنزل إلى يومنا هذا ...

قال تعالى :

﴿ لاتحرِّكْ بِهِ لسانَكَ لتَعْجَلَ به * إنَّ علينا جَمْعَهُ وقرآنَه * فإذا قَرأناهُ فاتَّبِع قُرآنه * ثم إنَّ علينا بَيانه ﴾ [1] .

وقال أيضاً :

﴿ إنا نَحنُ نَزَّلنا الذكرَ ، وإنّا لَه لحافظون ﴾ [2] .

فكان من حفظ الله له مدارسة رسول الله ﷺ له مع جبريل عليه السلام ، وأمر رسوله ﷺ كتَبَة الوحي بكتابته ، وحرص الصحابة رضوان الله عليهم على حفظه صدراً وسطراً ... وتوفيق المسلمين إلى جمعه بعد وفاة رسول الله ﷺ أيام أبي بكر وعثمان رضي الله عنهما ، وما إلى ذلك من مظاهر الحفظ العجيبة التي لم تتوفر لكتاب آخر على الإطلاق [3] .

إلى غير ذلك من خصائص عديدة ، لم يشاركه فيها كتاب آخر ، ولاعجب فالقرآن الكريم كتاب الله ، مصدر كل خير ، وملجأ كل عالم وداعية ، وهو العروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وحبل الله المتين ...

* * *

(١) الآيات / ١٦ ـ ١٩ / من سورة القيامة .

(٢) الآية / ٩ / من سورة الحجر .

(٣) انظر بحوثاً هامة مفيدة في جمع القرآن وبيان عوامل حفظه في كتاب « مناهل العرفان في علوم القرآن » للزرقاني (١/٢٣٢ ـ ٣٣٠) .

٢ ـ المصدر الثاني :

« السنّةُ النبوية الشريفة »

تعريف السنة :

أ ـ في اللغة : تطلق السنة على معان كثيرة في اللغة ، منها : الطريقة ، قال في التهذيب : السنة : الطريقة المحمودة المستقيمة ، ولذلك قيل : فلان من أهل السنة ، معناه : من أهل الطريقة المستقيمة المحمودة ، وهي مأخوذة من السَّننِ ، وهو : الطريق ...

قال شَمِر : السنة في الأصل سنة الطريق ، وهو طريقٌ سَنَّه أوائل الناس ، فصار مسلكاً لِمَنْ بعدهم ، وسَنَّ فلانٌ طريقاً من الخير ، يَسُنّه : إذا ابتدأ أمراً من البر لم يعرفه قومه ، فاستَسنّوا به وسلكوه ، وهو سَنين ، ويقال : سَنَّ الطريق سنّاً وسَنَناً ، فالسَّنُّ المصدر ، والسَنَن الاسم بمعنى المسنون ...[1]

قال الراغب : « وسنة النبي ﷺ : طريقته التي كان يتحراها ، وسُنَّةُ الله تعالى قد تُقال لطريقة حكمته ، وطريقةِ طاعته ، نحو ﴿ سُنَّةَ الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً ـ ولن تجد لسنة الله تحويلاً ﴾[2] .

ب ـ والسنة في الاصطلاح : تعددت تعريفاتها تبعاً لاختصاص المعرفين لها ، فهناك تعريف للمحدثين ، وآخر للفقهاء ، وثالث للأصوليين ،

---

(١) انظر « لسان العرب » لابن منظور (٢٢٦/١٣) .

(٢) « المفردات في غريب القرآن » ص : (٢٤٥) .

وسأكتفي هنا بتعريف الأصوليين للسنة ، لأنه المناسب لمقام ذكر المصادر والأدلة .

فقد عرفها بعضهم بقوله هي :

« ما صدر عن سيدنا محمد ﷺ غيرَ القرآن ، من فعل أو قول أو تقرير »[1] .

والسنة بهذا المعنى هي المصدر الثاني من مصادر التشريع في الإسلام بعد كتاب الله عز وجل ، يقول الإمام ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ :

« وأما أصول العلم : فالكتاب والسنة ، وتنقسم السنة قسمين : أحدهما : إجماع تنقله الكافة عن الكافة ، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف ، ومن رَدَّ إجماعَهم فقد رد نصاً من نصوص الله ، يجب استتابته عليه ، وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون ، وسلوكه غير سبيل جميعهم ، والضرب الثاني من السنة : خبر الآحاد الثقات الأثبات المتصل الإسناد : فهذا يوجب العمل عن جماعة علماء الأمة الذين هم الحجة والقدوة ، ومنهم من يقول : إنه يوجب العلم والعمل جميعاً ... »[2] .

وجاء في الحديث الشريف : « إني تركتُ فيكم ما إن اعتصمتم به ، فلن تضلوا أبداً : كتاب الله ، وسنة نبيه »[3] .

---

(١) « شرح مختصر ابن الحاجب » للعضد(٢/٢٢)، و « شرح مسلم الثبوت » (٢/٦٧) .

(٢) « جامع بيان العلم وفضله » (٢/٣٣ ـ ٣٤) ، وانظر تفصيلاً لتعريفات السنة في كتاب « حجية السنة » للدكتور : عبد الغني عبد الخالق ـ رحمه الله ـ ص(٤٥ ـ ٨٤) ط : المعهد العالمي للفكر الإسلامي .

(٣) الحديث رواه الحاكم وقال : صحيح الإسناد ، انظر « الترغيب والترهيب » للمنذري (١/٨٠) ط قطر .

وقد كانت السنة النبوية في هذه المكانة لأنها إما أن تكون مبينة ومفصلة لما جاء في القرآن الكريم ، وإما أن تثبت حكماً جديداً لم يُنصّ عليه فيه [1]، ومن هنا : كانت طاعة الرسول ﷺ مقرونة بطاعة الله تعالى ، قال تعالى :

﴿ يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ وأولي الأمر منكم ، فإن تَنازَعْتُم في شيء ، فَرُدّوه إلى الله والرسولِ إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ، ذلك خيرٌ وأحْسَنُ تأويلاً ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسولَ واحذَروا ، فإنْ تَولّيتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغُ المبين ﴾ [3] .

والسنة النبوية بالنسبة للداعية هي طريقة رسول الله ﷺ في الدعوة ، عليها يعتمد في دعوته ، ومنها يستقي مادام متبعاً له ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هذه سبيلي أدعو إلى الله على بَصيرة أنا ومَنْ اتّبعني ﴾ [4] .

---

(١) انظر كلاما مفيداً مفصلاً في هذا للإمام الشافعي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه « الرسالة » ص : (٩١ و ٩٢) ، وانظر « الفقيه والمتفقه » للخطيب البغدادي (١/٨٦ ـ ١٠٤) .

(٢) الآية / ٥٩ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

(٤) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

خصائص السنة النبوية :

يمكن للباحث في خصائص السنة النبوية أن يقف على خصائص كثيرة تميزها عن سنة غيره من الناس ، كما يمكن أن تشترك السنة مع القرآن الكريم في عدد من خصائصه ، ولاسيما الخصائص العامة الأولى ، لأنها ترجع في حقيقتها إلى خصيصة الربانية ، لأن الرسول الذي نتحدث عن سنته هو رسول رب العالمين .

ومن خصائص السنة النبوية :

١ ـ أنها نوعٌ من الوحي : فالسنة وإن كانت : ماصدر عن رسول الله ﷺ ، فإنما هي شكل من أشكال الوحي ، قال تعالى :

﴿ وما يَنْطِقُ عن الهَوى * إِنْ هو إلا وَحْيٌ يُوحىٰ ﴾ (١) .

وهذا النوع من الوحي يختلفُ عن وحي القرآن الكريم من بعض الوجوه ، من ذلك :

أ ـ السنة وحي بالمعني دون اللفظ .

ب ـ السنة وحي غير متعبَّد بتلاوته .

جـ ـ السنة لم تثبت جميعها عن طريق التواتر القطعي .

د ـ السنة غَيْرُ معجزة بلفظها ، وقد تكون معجزة بمعناها .

ومن مثل هذه الفروق وغيرها ، كانت السنة النبوية (المصدر الثاني) من مصادر التشريع من حيث ترتيبُ المصادر عند اجتماعها ، أما عند

---

(١) الآيات / ٣ ـ ٤ / من سورة النجم .

الانفراد ، فكل مصدر من المصادر التشريعية هو الأول في الرجوع إليه ، والمصدر الذي لامحيد عنه .

لأنه إذا تعددت المصادر في موقف واحد ، قدم الأفضل والأقوى في الذكر والعدّ ، ولاشك في أن كلام الله عز وجل أفضل من كلام غيره ، وأن ثبوت القرآن أقوى من ثبوت السنة وهكذا ... وعلى هذا الترتيب جرى تقديم طاعة الله في الذكر على طاعة رسوله ﷺ في القرآن ، ومضت سنة الصحابة رضوان الله عليهم ، وعليه تعارف علماء الأصول في تصنيفهم للأدلة الشرعية جميعها ...[1]

٢ ـ اتصال السند : وتعني (اتصال سند السنة الصحيحة به ﷺ دون انقطاع) .

وهذه الخصيصة من خصائص الأمة الإسلامية ، حيث لاتجد الأمم الأخرى اليوم سنداً متصلاً لأقوال أنبيائها ورسلها عليهم الصلاة والسلام ، وإنما هي أقوال يرويها بعض علمائهم وأحبارهم ورهبانهم عنهم دون اتصال ...[2]

٣ ـ الحفظ من الضياع : فقد حفظ الله عز وجل سنة نبيه ﷺ من الضياع ، بما هيأه لها من صحابة كرام نقلوها عنه لمن بعدهم ، وحفظوها كما حفظوا كتاب ربهم ، كما هيأ لها علماء أجلاء كتبوها ودونوها ،

---

(١) استشكل بعضهم جَعْلَ السنة في المرتبة الثانية في تعداد المصادر ، متوهماً أن الترتيب من حيث الحجّية ، ولعل فيما أثبتُه دفعاً لهذا الإشكال .

(٢) يقول الإمام ابن حزم ـ رحمه الله ـ : « وهذا نقلٌ خَصَّ الله عز وجل به المسلمين ، دون سائر أهل المِلل كلها ، وأبقاه عندهم غَضّاً على قديم الدهور مذ أربعمائة عام وخمسين عاماً في المشرق والمغرب ، والجنوب والشمال ... » انظر « الفِصَل » (٢/٢٢١) تحقيق د : محمد إبراهيم نصر ، و د : عبد الرحمن عميرة .

وميزوا الثابت منها عن غيره على مر السنين ، ووضعوا لذلك قواعد وضوابط تضبط قبولها وروايتها ... كما يعرف ذلك في علوم الحديث ...

وذلك لأن حفظ السنة من لوازم حفظ القرآن الكريم ، فهي المبيّنة له ، والمفصلة لمجمله ، والمتممة لأحكامه كما سبق معنا .

٤ ـ العصمة من الخطأ في التشريع : وذلك لأن السنة وحيٌ ، والوحي منزه عن الخطأ ، وجاء في الحديث الشريف عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قوله ﷺ حين أذن له بكتابة الحديث : « اكتب ، فوالذي نفسي بيده ، مايخرج منه إلا الحق »[1] .

وتشمل عصمة السنة ، ماصدر عنه ﷺ باجتهاد في أمور التشريع ، لأن الشارع لايقره على خطأ فيه ، وإن جاز أن يقره على اجتهادٍ خطأٍ في أمور الدنيا المبنيّة على التجارب والخبرات ، لحكمة إظهار جانب البشرية فيه ﷺ[2] .

* * *

(١) ساق الحديث الحافظ ابن حجر في الفتح ، وعزاه إلى أحمد وأبي داود ، وقال عنه : « ولهذا طرق أخرى عن عبد الله بن عمرو يقوي بعضها بعضاً » . « فتح الباري » (١/٢٠٧) .

(٢) راجع بحث « عصمة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام عن الخطأ في الاجتهاد » في كتاب « حجية السنة » للشيخ عبد الغني عبد الخالق ص (١٤٥ ـ ٢٣٩) .

٣ ـ المصدر الثالث :

« السيرة النبوية المطهرة »

السيرة النبوية هي : (تاريخ حياة النبي ﷺ ، وبيان طريقته فيها) ، لأن السيرة النبوية في اللغة : الطريقة ، والحالة التي يكون عليها الإنسانُ وغيره ، يقال : قرأت سيرة فلان : أي تاريخ حياته ، وجمعها سِيَر [١] .

وبهذا التعريف للسيرة ، تشمل سيرة الرسول ﷺ الشخصية ، كما تشمل شمائله وغزواته ، وجميع تحركاته الدعوية ، وتكون السيرة من هذا الوجه أعم من السنة النبوية في اصطلاح الأصوليين .

وتعدُّ السيرة النبوية المصدر الثالث للدعاة بعد الكتاب والسنة ، وإن كانت في حقيقتها ترجع إلى الكتاب والسنة ، لأنها تطبيق عملي لهما ،

وقد رأيت إفرادها عن السنة في المصادر نظراً لما بين السنة والسيرة من عموم وخصوص ، من جهة ، وتمشياً مع اصطلاح العلماء في إفرادها في الدراسة والتصنيف من جهة أخرى .

ولما كان الرسول ﷺ الداعيةَ الأول لهذا الإسلام ، كانت سيرته أوسع مصدر عملي للدعاة ، وكان الكتاب والسنة أوسع المصادر النظرية لهم .

فلابد للدعاة من دراسة السيرة النبوية وتفهمها والاستفادة منها في ضوء العقل والنقل ، لأنها أعمال وأحوال لابد لفهمها فهماً صحيحاً من ملاحظة الأعمال والأحوال المرافقة لها ، وقد قصر بعض الدعاة في هذا الجانب ، فاستشهدوا بالسيرة في غير موضعها ، أو فهموها على

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (سَيَر) (١/ ٤٧٠) .

غير وجهها ، وفهم السيرة فهماً صحيحاً أمر دقيق قد لايحسنه إلا العلماء وأهل الاستنباط منهم [1] .

فقد تختلف تصرفاته ﷺ من حال إلى حال ، فيكون بعضها تشريعاً يُقْصَدُ منه التأسي ، وقد يكون بعضها تصرفات جبلية شخصية ...

كما قد تصدر عنه أعمال ﷺ بصفته رسولاً مبلغاً عن الله ، وأخرى بصفته قاضياً يفصل بين المتنازعين ، وثالثة بصفته إماماً وقائداً ، ولكل نوع من هذه التصرفات دلالاته وأحكامه [2] .

ويكفي في الاستدلال على أهمية السيرة النبوية للدعاة ، قوله تعالى :

﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً ﴾ [3] .

خصائص السيرة النبوية :

إن خصائص السيرة النبوية المطهرة ، ترجع في جانب منها إلى خصائص السنة النبوية ، وبعض خصائص القرآن الكريم ، وذلك لارتباطها بهما ، ولأنها سيرة رسولٍ من رب العالمين ...

---

(١) انظر الملاحظات التي خَتَمْتُ بها الملامح العامة للدعوة في زمنه ﷺ ـ الفصل الأول ـ المبحث الثاني .

(٢) راجع مثل هذه الفروق في كتاب « الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام ، وتصرفات القاضي والإمام » للعلامة القرافي المالكي ، تحقيق أستاذنا الشيخ عبد الفتاح أبو غدة ـ حفظه الله ـ وكتاب « زاد المعاد » للإمام ابن القيم (٤٨٩/٣ ـ ٤٩٠) تحقيق الشيخ الأرناؤوط ، و « إعلاء السنن » للتهانوي (٦٨/١٤ ـ ٦٩) .

(٣) الآية / ٢١ / من سورة الأحزاب .

فهي تشترك معهما في بعض الخصائص الهامة ، وقد تختلف في بعضها الآخر بسبب الجانب البشري في شخصية رسول الله ﷺ وسيرته . أما الجانب الذي يراد به التأسّي ، فلا يختلف عن السنة النبوية في خصائصه .

وسأقتصر في هذا المقام على ذكر ثلاث خصائص للسيرة ، وهي :

١ ـ الشمول : فقد شملت سيرته ﷺ التي كتب عنها العلماء ، جميع مناحي حياته ، فقد دونوا صفاته كما دونوا جميع أعماله وغزواته ...

والمتأمل في كتب السيرة النبوية يرى أنها تكاد أن لاتغادر صغيرة ولا كبيرة في حياته ﷺ إلا وسجلتها في دقة ووضوح ، حتى يجد القارئ لها نفسه وكأنه يُعاينها ويعيش معها ، وذلك منذ ولادته ﷺ إلى حين التحاقه بالملأ الأعلى .

فمن تفصيلٍ لأحوال ولادته ونشأته إلى تسجيل لبعثته ونبوته ، إلى تصوير لشمائله وأخلاقه ، إلى عرض واسع لحركاته وسكناته ، حتى في أموره الخاصة بينه وبين أزواجه ﷺ ...[1]

ولم يعرف التاريخ تسجيل حياة شخص ما بمثل هذا الشمول ! ولكن لاعجب في ذلك ، فإن الذين كتبوا في السيرة ـ ولاسيما السلف منهم ـ لم يقصدوا من وراء كتابتها مجرد فائدة علمية ، أو قصة تاريخية فحسب . وإنما سجلوا فيها حياة قدوة للناس كافة ، فاستقصوا

---

(١) انظر على سبيل المثال : « سيرة ابن إسحاق » و « سيرة ابن هشام » و « سيرة ابن كثير » و « عيون الأثر » لابن سيد الناس و « تاريخ الإسلام للذهبي » ، وما إلى ذلك ...

وفصّلوا ودقّقوا ... فجزاهم الله عن المسلمين خير الجزاء .

٢ ـ الحفظ : فقد حفظ الله للمسلمين سيرة نبيهم ﷺ ، كما حفظ لهم سنته ، لأن في حفظهما حفظاً للقرآن الكريم ،

فقد هيأ الله للسيرة النبوية الصحابة الكرام الذين نقلوها لمن بعدهم بدقة وأمانة ، وهيأ من يهتم بها وسجلها تسجيله للنصوص الشرعية ، فحفظت بذلك سيرته ﷺ من الضياع ، وأصبحت في متناول يد كل مسلم ، فهناك المختصرات الموثوقة ، وهناك المصنفات الكبرى والموسوعية فيها .

يقول الأستاذ الدكتور : أكرم ضياء العُمَري في كتابه « المجتمع المدني في عهد النبوة » :

« فإن الدراسة والمقارنة تكشف عن التطابق بين كتب الحديث وكتب السيرة في كثير من الأسس والتفاصيل معاً ، وهذا من حفظ الله تعالى لسيرة نبيه ﷺ ، لتبقى مناراً يقتدي بها المسلمون في كل عصر ، ومصر ، فكان أن هيأ لها جهابذة المحدّثين من طبقة التابعين وتلامذتهم لكتابتها في وقت مبكر ، مُسْتقينَ أخبارها من الصحابة الذين كانوا شهود عيان ومشاركين في الأحداث ، فلم يقع انقطاع بين الأحداث والتدوين يؤدي إلى الضياع أو التحريف أو التهويل .

وعندما نستعرض أصحاب كتب السيرة نجد معظمهم من المحدثين ، وليسوا من الأدباء والقصاصين ، ولذلك أهميته ، فهم معروفون بالتوثيق ، ولهم مناهج نقدية واضحة ، وأساليبهم جدّيَة بعيدة عن المبالغة والحشو والخيال »[1] .

---

(١) انظر ص ٢٩ .

٣ ـ العمليّة : فإن سيرة النبي ﷺ صالحةٌ للتطبيق في كل عصر وكل مكان ، وفي كل جانب من جوانب الحياة ...

لأنها سيرة بعيدة عن الخيالات والمثاليات ، فمن أراد الاقتداء به ﷺ رجلاً وزوجاً ، وجد في سيرته خير مثال لخير رجل وخير زوج .

ومن أراد الاقتداء به داعية ومعلماً ، وجد في سيرته سيرة خير الدعاة وقدوة المعلمين ...

ومن أراد الاقتداء به إماماً وقائداً ، وجد في سيرته خير قدوة في سياسة الأمور وتدبيرها ...

ومن هنا : قامت الحجة بها على جميع الناس على مختلف مستوياتهم ، وكانت مناراً واضحاً لكل من أراد الاقتداء به ﷺ ممن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً .

إلى غير ذلك من خصائص ...[1]

* * *

(١) راجع كتاب « الرسالة المحمدية » للسيد سليمان الندوي ـ مترجم ـ فهو من أوسع من تكلم في خصائص السيرة النبوية الشريفة .

٣ ـ المصدر الرابع :

« سيرة الخلفاء الراشدين »

الخلفاء الراشدون بعده ﷺ الذين أُجْمِعَ على وصفهم بذلك أربعة ، هم على الترتيب : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي رضي الله عنهم جميعاً ...

وقد سبق معنا حديث أبي داود والترمذي : « خلافةُ النبوة ثلاثون سنة ... »[١] .

فوصفت خلافة هؤلاء الأربعة بخلافة النبوة ، « حتى إن الإمام أحمد وغيره اعتمدوا على هذا الحديث في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة ، وثبتّه أحمد ، واستدل به على من توقّفَ في خلافة علي من أجل افتراق الناس عليه ، حتى قال أحمد : من لم يُربِّع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ، ونهى عن مناكحته ، وهو متفق عليه بين الفقهاء ، وعلماء السنة وأهل المعرفة والتصوف ، وهو مذهب العامة »[٢]

وهؤلاء الأئمة الأربعة الخلفاء الراشدون أفضل الصحابة رضوان الله عليهم جميعاً ، يقول الحافظ ابن حجر ـ رحمه الله ـ : « ونقل البيهقي في « الاعتقاد » بسنده إلى أبي ثور عن الشافعي أنه قال : أجمعَ الصحابة وأتباعهم على أفضلية أبي بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي »[٣] .

---

(١) الحديث قال عنه الترمذي : هذا حديث حَسَنٌ ، انظر « سنن الترمذي » (٢٣٢٦) و « تحفة الأحوذي » (٤٧٦/٦ ...) وانظر « سنن أبي داود » رقم (٤٦٤٦) و (٤٦٤٧) (٣٦/٥) .

(٢) انظر « مجموع فتاوى ابن تيمية » (١٨/٣٥ ـ ١٩) .

(٣) « فتح الباري » (٧ /١٧) .

ولمكانة هؤلاء الخلفاء من رسول الله ﷺ وخلافتهم الراشدة كانت سنتهم متبعةً كسنة رسول الله ﷺ ، ولاسيما فيما اتفقوا عليه من سُنَن ، وسنوه للناس من بعدهم [1] .

وقد جاء في الحديث الشريف :

« أُوصيكم بتقوى الله ، والسَّمْع والطاعة وإن تَأَمَّر عليكم عَبدٌ ، وإنه من يَعِشْ منكم فسَيرى اختلافاً كثيراً ، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين [2] ، عَضّوا عليها بالنواجذ ، وإياكم ومُحْدثات الأمور ، فإن كل بدعة ضلالة »[3] .

وقد كان لسيرتهم وسنتهم هذه المكانة الخاصة ، لأنهم كانوا إذا عرضت لهم قضية ، نظروا في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، فإن وجدوا فيها شيئاً أخذوا به ، وإن لم يجدوا ، شاوروا مَنْ حولهم من كبار صحابة رسول الله ﷺ في ذلك .

روى أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب « القضاء » عن ميمون ابن مهران قال :

« كان أبو بكر رضي الله عنه إذا ورد عليه الخصم ، نظر في كتاب الله ، فإن وجد فيه شيئاً قضى به ، وإلا ، فإن علم شيئاً عن رسول

---

(١) انظر كلاماً مفيداً في هذا للإمام ابن تيمية في « مجموع الفتاوى » (٣٥ / ٢٣) .

(٢) مع إجماع الأمة على عد الخلفاء الأربعة من الخلفاء الراشدين ، فقد روي عن بعض السلف عدهم خمسة ، فقد روى أبو داود في سننه عن سفيان الثوري قوله : « الخلفاء خمسة : أبو بكر ، وعمر ، وعثمان ، وعلي ، وعمر بن عبد العزيز رضي الله عنهم جميعاً » رقم (٤٦٣١) (٥/٢٧) ط الدعاس .

(٣) الحديث رواه أبو داود والترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر سنن الترمذي (٢٦٧٨) وسنن أبي داود (٤٦٠٧) .

الله ﷺ قضى به ، فإن أعياه ، خرج فسأل المسلمين : هل علمتم أن رسول الله ﷺ قضى في ذلك بقضاء ؟ فربما اجتمع إليه النفر كلهم يذكرون عن رسول الله ﷺ فيه قضاء ، فيقول أبو بكر : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ علينا علم نبينا ، فإن أعياه جمع رؤوس الناس وخيارهم واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على أمر قضى به ، وكان « عمر » رضي الله عنه يفعل ذلك ، فإذا أعياه أن يجد ذلك في الكتاب والسنة ، سأل : هل كان أبو بكر قضى فيه بقضاء ، فإن كان لأبي بكر قضاء قضى به ، وإلا جمع علماء الناس ، واستشارهم ، فإذا اجتمع رأيهم على شيء قضى به »[1] .

فكانت سنتهم وسيرتهم امتداداً طبيعياً لسنة رسول الله ﷺ وسيرته ، وتطبيقاً عملياً لمنهج الله ورسوله .

ولعل حكمة اعتبار سنتهم كسنة رسول الله ﷺ في الاتباع ، ألا تقتصر أسوة المؤمنين على النبي المعصوم ﷺ ، وإنما تشمل خلفاءه الراشدين من بعده ، وحتى لا يتوهَّم متوهم أن إمكانية تطبيق الإسلام تطبيقاً صحيحاً لاتكون إلا في زمن رسول الله ﷺ ، وتتوقف بوفاته ، فقامت الحجة بسنتهم وسيرتهم كما قامت بسنة رسول الله ﷺ إلى يوم القيامة .

* * *

(١) نقله عن أبي عُبَيْد، الحجويُّ في كتابه « الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي » (٢٢٨/١) ط ونشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة .

٥ ـ المصدر الخامس :

« وقائع العلماء والدعاة في ضوء تلك المصادر »

تُعدُّ تجارب العلماء والدعاة ، وتصرفاتُهم في الوقائع الدعوية مَصْدراً هاماً من مصادر الداعية ، يُعينُه على فهم المصادر السابقة ، واستنباط الأحكام منها ، لأنها تطبيقاتٌ عملية لمنهج الله ورسوله .

ومع أهمية هذه الوقائع وعظيم فائدتها ، فإنها تُعدُّ مصدراً تَبَعياً يستفاد منه في ضوء المصادر الأصلية السابقة ، لأنها اجتهادات بشرية تُخطئ وتُصيب ، فإذا أجمع العلماء على التعامل مع واقعةٍ ما بشكل محدد ، كان عملهم حجةً بسبب الإجماع ، وإن اختلفَتْ آراؤهم واجتهاداتُهم فيها ، كانت آراء اجتهادية تُنيرُ الطريقَ لغيرهم ، ولو أصابوا فيها أجراً واحداً ـ كما هو شأنهم في الاجتهادات الفقهية ـ .

وقد أخطأ بعض الناس حين غفلوا عن أهمية هذا المصدر ، فزهدوا به وأعرضوا عن الإفادة منه ، مُستَغْنينَ بزعمهم بالكتاب والسنة !!

كما أخطأ آخرون في إنزال هذا المصدر مَنْزِلَة الكتاب والسنة المنزهين عن الخطأ ، تقديراً بزعمهم للعلماء واحتراماً لآرائهم واجتهاداتهم !! ، كما وقع من كلا الطرفين ، وما ضاعَ هذا الدين إلا بين الغالي فيه والمُقَصِّر .

فليست الدعوة الإسلامية نصوصاً جامدة ، أو أعمالاً وأحكاماً ثابتة ، وإنما هي بجانب النصوص الشرعية والأحكام الفقهية أفهامٌ بشرية ، واستنباطاتٌ علمية ، وموازناتٌ دقيقة لا يُحسنُها إلا أهلها .

ومن لهذه الموازنات والأفهام ، إلا العلماء وراثُ الأنبياء عليهم

الصلاة والسلام ، فقد جاء في الحديث : « العلماءُ ورثَة الأنبياء »[1] .

ومن هنا : جاء تشبيه العلماء بالنجوم في السماء ، فقد روى الحافظ الخطيب البغدادي بسنده عن أنس بن مالك رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال :

« إنَّ مَثَلَ العلماء في الأرض ، كمثل نجوم السماء ، يُهتدى بها في ظلماتِ البر والبحر ، فإذا انطمسَت النجوم ، يوشِكُ أن تَضِلَّ الهداة »[2] .

وروى ابن النجّار عن أنس رضي الله عنه :

« العلماءُ قادَة ، والمتّقون سادَة ، ومجالستُهم زيادة »[3] .

كما رُوِي :

« العلماءُ مصابيحُ الأرض ، وخلفاءُ الأنبياء ، وورثتي وورثة

---

(١) الحديث رواه أحمد والأربعة وآخرون ، قال عنه العجلوني : « وصحّحه ابن حبان والحاكم وغيرهما ، وحَسّنَهُ حمزة الكتاني ، وضعّفَه غيرهم لاضطراب سنده ، لكن له شواهد ... » انظر « كشف الخفاء » (٨٣/٢) .

(٢) انظر « الفقيه والمتفقه » (٧٠/٢) ، وقف فيه على نقول كثيرة عن السلف في قيمة العلماء وبيان ومكانتهم في (٣٢/١) وما حولها ، وانظر « جامع بيان العلم وفضله » لابن عبد البر (٦٠/١) وما حولها ، وقد روي هذا الحديث في المسند بِسنَد فيه ضَعْف (١٥٧/٢) .

(٣) الحديث : ساقه الخطيب البغدادي بسنده عن علي رضي الله عنه بلفظ « الأنبياء قادة ، والفقهاء سادة ، ومجالستهم زيادة » « الفقيه والمتفقه » (٣٢/١) ، وقال عنه العجلوني : « رجاله ثقات » انظر « كشف الخفاء » (٨٣/٢) ، كما قال عنه الهيثمي : « رجاله موثقون » انظر « مجمع الزوائد » (١٢٥/١ و ١٢٦) وظاهر كلام الهيثمي ينصرف إلى الرواية الموقوفة التي ساقها عن ابن مسعود رضي الله عنه ، وليس إلى هذه الرواية فليتنبه لذلك وليبحث .

الأنبياء »[1] ، وما إلى ذلك .

وإن أولى العلماء بالاستفادة من وقائعهم وتصرفاتهم فيها : الصحابةُ الكرام رضوان الله عليهم ، لأنهم أعلم الناس بالمنهج الرباني ، والأسلوب الحكيم ، وذلك لصحبتهم لرسول الله ﷺ ، ومعايشتهم لسيرته الدعوية ، مما جعلهم خيرَ الناس ، وجَعلَ لهم منزلة خاصة عند علماء الأمة ، حتى جَعلَ بعضهم قولَ الصحابي حجةً ودليلاً .

ثم يأتي بعدَهم التابعون لهم بإحسانٍ من علماء القرون الأولى ، الذين أخذوا عن الصحابة واهتدوا بهديهم ...

ثم يأتي مِنْ بَعْدِهم عُلَماءُ الأمة ودعاتها على مختلف العصور ، الذين لاتخلو الأمة من أمثالهم ، جزاهم الله جميعاً عن المسلمين خير الجزاء .

وإن كتب التراجم والسِيَر حافلةٌ بمثل هذه الوقائع والتجارب المفيدة[2].

ومع الاعتراف بأولوية وأهمية وقائع علماء السلف ودعاتهم ، فإنه لاينبغي للدعاة أن يَزْهدوا بوقائع علماء عَصْرهم ، وتجارب الدعاة المعاصرين ، فقد يكون فيها من الوقائع والأحداث مايشابه وقائع العصر الذي يعيشون

---

(١) الحديث ذكَرَهُ العجلوني وقال : « رواه ابن عدي عن علي رضي الله عنه ، وهو حديثٌ صحيح كما قال المناوي » ، انظر « كشف الخفاء » (٢/٨٤) . ولعل هذا وهم من العجلوني ، ففي « فيض القدير » (٤/٣٨٤) السطر السابع : جاء التصحيح لحديث آخر سابق ، وليس لهذا الحديث ، فليتنبه لذلك وليُبحث .

(٢) انظر على سبيل المثال « الإصابة » لابن حجر ، و « أسد الغابة » لابن الأثير ، و « حياة الصحابة » لمحمد يوسف الكاندهلوي ، و « صفة الصفوة » لابن الجوزي ، و « سير أعلام النبلاء » للذهبي ... كما يستفاد في هذا الموضوع من كتب مذكرات الدعاة والعلماء ، و « الموسوعة الحركية » لفتحي يكن ، وغيرها من كتب التراجم على مختلف العصور .

فيه ، وما هو أكثر مطابقة لها ، فكلما تقاربت العصور تشابهت الوقائع والأحداث فيها ، والعلماءُ الموثَّقون في كل عصر ، هم أدرى الناس باحتياجات عصرهم ، وبالأساليب النافعة فيه ، فلا يغني شيء عن شيء ، والله أعلم .

* * *

المبحث الثاني

« أركان الدعوة »

تعريفها :

الأركان **في اللغة** : جَمْعُ ركن ، وهو : أحد الجوانب التي يستند إليها الشيء ، ويقوم بها ، وهو : جزء من أجزاء حقيقة الشيء ، يقال : ركن الصلاة وركن الوضوء [1] .

والركن **في الاصطلاح** :

« ما يقوم به ذلك الشيء ، مِنَ التَقَوّم ، إذ قِوام الشيء بركنه ، لا من القيام ... »[2] .

ومما سبق يمكننا تعريف أركان الدعوة بأنها « الأجزاء التي تمثل حقيقة الدعوة ، ولاتقوم الدعوة إلا بها » وهي ثلاثة :

أ ـ الداعي .

ب ـ المدْعو .

جـ ـ موضوع الدعوة .

---

(١) انظر « المعجم الوسيط » مادة (ركن) (١ /٣٧٢) .

(٢) « التعريفات » للجرجاني ، ص : ١١٢ .

١ ـ الركن الأول :

« الداعي »

وقد سبق معنا تعريفه في التمهيد بأنه :

« المُبَلِّغُ للإسلام ، والمعلِّم له ، والساعي إلى تطبيقه » ، فهو القائم بالدعوة ، قال تعالى :

﴿ ياأيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً ۞ وداعياً إلى الله بإذنه ، وسراجاً منيرا ﴾ [1] .

أهمية الداعي وفضله :

يمكننا الوقوف على أهمية الداعي وفضله من عدة جوانب :

١ ـ من حيث موضوعُه الذي يدعو إليه : فهو داعية إلى الله ، يدعو إلى رضائه وجنته ، قال تعالى :

﴿ ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً ، وقال إنني من المسلمين ﴾ [2] .

وقال أيضاً :

﴿ ويا قَوْمِ مَالي أَدْعوكم إلى النجاةِ وتَدْعونَني إلى النار ۞ تَدْعونَني لأَكْفُرَ بالله وأُشْرِكَ به ماليْسَ لي به عِلم ، وأَنا أَدْعوكم إلى العزيز الغفّار ﴾ [3] .

---

(١) الآيات / ٤٥ ـ ٤٦ / من سورة الأحزاب .

(٢) الآية / ٣٣ / من سورة فصلت .

(٣) الآيات / ٤١ ـ ٤٢ / من سورة غافر .

٢ ـ من حيث وظيفتُه : فإن وظيفة الداعية أشرف الوظائف على الإطلاق ، لأنها عمل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، أشرف البشر . وإن عظم الوظيفة تدل على عظم صاحبها ،

قال تعالى :

﴿ رُسُلاً مبشرين ومنذرين ، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ، وكان الله عزيزاً حكيماً ﴾ [١] .

٣ ـ من حيث أجْرُه وثوابه : فقد وعد الله عز وجل الدعاة إليه بالأجر الكبير ، والفضل العظيم ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« من دعا إلى هُدىً كان له من الأجر مِثْلُ أجور من تبعه ، لاينْقُصُ ذلك من أجورهم شيئاً ، ومن دعا إلى ضلالة كان عليه مِنَ الإثم مثلُ آثام من تبعه ، لاينقُص ذلك من آثامهم شيئاً » [٢] .

وجاء في الحديث الآخر :

« فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكونَ لك حُمْر النَّعَم » [٣] .

إلى غير ذلك من نصوص شرعية تبين عظيم ثواب الداعية على عمله ... [٤]

---

(١) الآية / ١٦٥ / من سورة النساء .

(٢) الحديث رواه الإمام مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٢٦٧٤) .

(٣) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٧٠١) (٧/ ٧٠) و « صحيح مسلم » رقم (٢٤٠٦) .

(٤) راجع رسالة « وجوب تبليغ الدعوة ـ فضل الدعوة والداعية ـ » للشيخ عبد الله ناصح علوان ـ نشر دار السلام ـ .

صفاتُ الداعي وآدابه :

لما كانت الدعوة إلى الله عَملَ الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأتباعهم ، كان لابد للقائم بها من التحلي بصفات أساسية وآداب ضرورية ليكون أهلاً لهذا العمل ، وتكون دعوته مثمرة .

ونظراً لعدم الفرق العلمي الدقيق بين الصفات والآداب ، رأيت أن أسرد أهم الصفات والآداب الضرورية للداعية دون تفريق بينهما من جهة ، ودون تفصيل لهذه الصفات والآداب وأدلتها من جهة أخرى ، تمشياً مع طبيعة المدخل .

ويمكن لمن أحب التفصيل في ذلك أن يرجع إلى كتب الأخلاق والآداب ، فهي حافلة بالصفات الكريمة ، والأدلة عليها [1] .

١ ـ الإيمان العميق بما يدعو إليه :

فإنه بقدر إيمان الداعية بدعوته ، وتفهمه لضرورتها وحاجة الناس إليها ينجح في دعوته ، وبقدر ضعف هذا الإيمان ، والنظر إليها بأنها مهمة ثانوية يتهاون فيها ، ويتكل فيها على غيره ، ويتعثر في طريقه ، ويعطيها من فَضْل وقته ...

قال تعالى :

---

(١) يراجع على سبيل المثال : كتاب « الأدب المفرد » ، و « الآداب الشرعية » لابن مفلح ، و « غذاء الألباب » للسفاريني ، و « إحياء علوم الدين » للغزالي ، و « الأخلاق الإسلامية » للشيخ : عبد الرحمن حبنكة الميداني . وغيرها من كتب الأخلاق والآداب . وانظر رسالة « صفات الداعية النفسية » للشيخ عبد الله علوان ، نشر دار السلام .

﴿ يايحيى خُذِ الكتاب بقوة ... ﴾ [1] وقال أيضاً :

﴿ فَخُذْها بِقوَّة ، وأمُرْ قومَكَ يأخذوا بِأحسنها ﴾ [2] .

وقد كان تصميم رسول الله ﷺ على المضي في الدعوة تصميماً قوياً يقطع جميع أنواع التردد والمساومات

فقد ورد « أن قريشاً جاءت إلى أبي طالب فقالوا : إن ابن أخيك يؤذينا في نادينا وفي مسجدنا ! فانْهَه عن أذانا ، فقال : ياعقيل ائتني بمحمد ، فذهبت فأتيته به ، فقال : يابن أخي ، إن بني عمك زعموا أنك تؤذيهم في ناديهم وفي مسجدهم ، فانته عن ذلك . قال : فَحَلَّق رسول الله ﷺ إلى السماء ، فقال : أترون هذه الشمس ؟ قالوا : نعم ، قال : « ماأنا بأقدر على أن أدَع لكم ذلك ، على أن تستشعلوا لي منها شعلة » قال : فقال أبو طالب : ماكذبنا ابن أخي ، فارجعوا » [3] .

ومن هنا ، وقف الرسول ﷺ يَتبيَّنُ يوم « بدر » مواقفَ أصحابه الذين خرجوا معه ، قبل أن يقدم على المعركة [4] ، ليعلم مدى عزمهم وتصميمهم ...

---

(١) الآية / ١٢ / من سورة مريم .

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة الأعراف .

(٣) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » (٦/١٥) ، وعزاه إلى « مسند أبي يعلى » وقال : ورجاله رجال الصحيح ، كما عزاه إلى « المعجم الكبير والوسط » للطبراني . ويُفضّل الاستدلال به بدلاً من الاستدلال بالرواية المشهورة التي فيها : « يا عم ، والله لو وضعوا الشمس في يميني ، والقمر في يساري ... الخ » التي رواها ابن إسحق عن يعقوب ابن عتبة ـ أحد ثقات أتباع التابعين ـ مُعْضَلةً ، وإن كان أصلها موصولاً ـ كما ذكر الهيثمي ـ وانظر « سيرة ابن هشام » (١/٢٦٦) .

(٤) راجع « سيرة ابن هشام » (١/٦١٤) .

٢ ـ الاتصال الوثيق بمن يدعو إليه :

فالداعية أحوج من يكون إلى الاتصال الوثيق بالله عز وجل ، ليستمد منه العون والتوفيق .

ومن مظاهر هذه الصلة الوثيقة بالله :

أ ـ إخلاص النية له سبحانه في دعوته ، فلا يرجو من ورائها إلا رضاه ، ولا يتطلع من خلالها إلى مكاسب شخصية ، أو منافع دنيوية ، أو يتخللها شيء من الرياء ...

وإن أي غفلة عن الإخلاص ، قد تُحوِّلُ القَصْدَ ، وتُفسد النيّة ، فيضيع العمل ويحبط الأجر ، كما حدث للثلاثة الذين هم أول مَنْ تُسْعَر بهم جهنم ، وهم : عالم ، ومنفق ، ومُقاتِل [١] .

ب ـ محبة الله عز وجل ، والإكثار من عبادته وذكره ، لأن الداعية الوثيق الصلة بالله ، يحرص على طاعته ، والتقرب إليه ، بل يحرص على النوافل حرصه على الواجبات ، ويتجنب المكروهات اجتنابه للمحرمات ، ويزيد من القربات والطاعات حتى يتولاه الله في شؤونه جميعها ،

فقد جاء في الحديث الشريف :

« ... وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلي مما افترضتُ عليه ، ومايزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببتُه ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله

---

(١) انظر الحديث الذي رواه الإمام مسلم وغيره في ذلك ، « صحيح مسلم » (١٩٠٥) .

التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطِيَنّه ، ولئن استعاذ بي لأعيذنّه ... »[1] .

إلى غير ذلك من مظاهر الصلة الوثيقة بالله عز وجل [2] .

٣ ـ العلم والبصيرة بما يدعو إليه :

لأن أهل العلم هم الذين يستطيعون القيام بحق الدعوة حق القيام ، وذلك بما أوتوا من ميراث رسول الله ﷺ ، ومن بصيرة بدينهم ، وما أكثر ما يسيء الجاهل إلى دعوته من حيث لايشعر ، قال تعالى :

﴿ قُلْ هل يَسْتوي الذين يَعْلَمونَ والذينَ لايَعْلَمون ﴾ [3] .

وقال : ﴿ قُلْ هذه سبيلي أَدْعو إلى الله على بَصيرة ، أنا ومن اتَّبعني ﴾ [4] .

وانظر ما فعله العابد على جهل بالذي قتل تسعة وتسعين نفساً ، ثم جاء يسأله عن التوبة ...[5]

٤ ـ العَملُ بالعِلْم والاستقامةُ في السلوك :

فلا خير في داعية لا يوافق علمه عمله ، ولايستقيم سلوكه ، وإن

---

(١) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٥٠٢)(١١/٣١٤) .

(٢) راجع في ذلك كتاب « الدعوة إلى الإسلام وأركانها » وكتاب « الإيمان : خصائصه وثمراته » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ـ رحمه الله ـ .

(٣) الآية / ٩ / من سورة الزمر .

(٤) الآية / ١٠٨ / من سورة يوسف عليه السلام .

(٥) انظر الحديث المتفق عليه في « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٤٧٠)(٦/٥١٢) وفي « صحيح مسلم » رقم (٢٧٦٦) .

من أخطر مايصاب به الدعاة انفصالَ علمهم عن عملهم ، قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا لِمَ تقولون مالا تَفْعلون * كَبُرَ مَقْتاً عند الله أَنْ تَقولوا مالا تَفْعلون ﴾ (١) .

كما قال على لسان نبيه شعيب عليه السلام :

﴿ وما أُريدُ أَنْ أُخالِفَكم إلى ما أَنْهاكم عنه ، إِنْ أريدُ إلا الإصلاحَ مااستطعتُ ، وما توفيقي إلا بالله ، عليه توكلتُ وإليه أُنيب ﴾ (٢) .

وإن من أثر انفصال العلم عن العمل في الدنيا : أن يقول المدعوون : لو كان هذا صادقاً فيما يدعونا إليه ، لطبق ذلك على نفسه وعلى من يلوذ به ، وكان أسرع الناس إليه ... وما أضعف موقف الداعية الذي يتحدث عن محاسن الإسلام وصلاحية تطبيقه في كل زمان ومكان ، ثم لايُرى أثر ذلك في نفسه وأسرته !! فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال .

ويكفي في أثر ذلك في الآخرة ، أن يصبح مصير هذا الداعية ، مصيرَ ذلك الذي تندلق أقتاب بطنه في النار ، فقد جاء في الحديث الشريف :

« يُؤْتى بالرجل يومَ القيامة ، فيُلْقَى في النار ، فتَنْدَلِقُ أقتابُ بطنه ، فيدور بها كما يدور الحمار في الرَّحا ، فيجتمع إليه أهل النار فيقولون : يافلان مالكَ ؟ ألم تكُ تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر؟

---

(١) الآيات / ٢ ـ ٣ / من سورة الصف .

(٢) الآية / ٨٨ / من سورة هود عليه السلام .

فيقول : بلى ، كنت آمر بالمعروف ولا آتيه ، وأنهى عن المنكر وآتيه »[1] .

٥ ـ الوَعْي الكامل :

وهو إدراك مايحيط بالدعوة ، فلا يغني العلم عن الوعي ، فلابد للداعية من وعي شامل بعدة أمور :

أ ـ بواقع الدعوة ومتطلباتها في عصره .

ب ـ بواقع المدعوين من حوله .

جـ ـ بواقع الداعية نفسه ، وما يحيط به من ظروف وأحوال .

فإذا لم يَعِ الداعية هذه الأمور ، تخبط في دعوته ، وجَرَّ إليها النكبات والكوارث من حيث يريد الإصلاح ، شعر بذلك أو لم يشعر ، فعلى أساس هذا الوعي : توضعَ الخطط ، وتُحدَّدُ الأولويات ، وتُعْقَد الموازنات ، وبالوعي تكتمل بصيرة الداعية بدعوته .

٦ ـ الحكمة في الأسلوب :

فعلى الداعية أن يكون حكيماً في أسلوب دعوته ، يختار لمن يدعوهم الأسلوب الحسن المناسب ، فيضع كل أسلوب في محله ، والحكيم هو من يحسن الاختيار ، ويضع الشيء في محله . قال تعالى :

﴿ يُؤْتي الحكمةَ من يشاء ، ومن يُؤْتَ الحكمةَ فقد أُوتِيَ خيراً كثيراً ﴾[2] . وقال :

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٣٢٦٧) (٦/٣٣١) و « صحيح مسلم » رقم (٢٩٨٩) .

(٢) الآية / ٢٦٩ / من سورة البقرة .

﴿ ادْعُ إلى سَبيلِ ربكَ بالحكمةِ والموعظةِ الحسنةِ وجَادِلْهم بالتي هي أَحْسَن ﴾ [1] . وسيأتي معنا مزيد بيان لأوجه الحكمة في الفصل المتعلق بالمناهج والأساليب والوسائل ـ إن شاء الله ـ .

٧ ـ التخلق بالخلق الحسن :

إذا كان الاتصال الوثيق بالله عز وجل أهم صفةٍ في جانب صلة الداعية بالله ، فإن التخلق بالخلق الحسن أهم صفة في جانب صلة الداعية بالمدعوين . وقد وصف الله عز وجل الداعية الأول رسوله ﷺ بقوله :

﴿ وإنَّكَ لعَلى خُلُقٍ عظيم ﴾ [2] ، وبين له أهمية الخلق بقوله :

﴿ فبما رحمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كنتَ فَظاً غليظَ القلب لانفَضُّوا من حَوْلك ، فاعفُ عنهم ، واستغفِرْ لهم ، وشاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ، إنَّ الله يُحِبُّ المتوكلين ﴾ [3] .

ووصف الصحابةُ رسولنا ﷺ بأنه كان أحسن الناس خُلُقاً [4] .

وبين لنا رسول الله ﷺ مكانة الخلق الحسن ، فقال :

---

(١) الآية / ١٢٥ / من سورة النحل .

(٢) الآية / ٤ / من سورة القلم .

(٣) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٤) كما ورد في الحديث المتفق عليه عن أنس رضي الله عنه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٦٢٠٣) (٥٨٢/١٠) ، وانظر « صحيح مسلم » رقم (٢١٥٠) ، وانظر « شرح مسلم للنووي » (٧٠/١٥ و ٧١) .

« أكمل المؤمنين إيماناً ، أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم »[1] وقال :

« ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من حسن الخلق ، وإن الله يبغض الفاحش البذيّ »[2] .

وكان آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ معاذاً حين أرسله إلى اليمن ، أن قال له :

« أَحْسِنْ خُلُقَكَ للناس ، يامعاذ بن جبل »[3] .

فعلى الداعية أن يجاهد نفسه للتحلي بالأخلاق الحسنة ، والتخلي عن الأخلاق السيئة ، فإن العلم بالتعلم ، والحلم بالتحلم ، وجاء في الحديث الشريف :

« ومن يَستَعْفِف يُعفّه الله ، ومن يَستَغْنِ يُغْنِه الله ، ومن يتصبّر يصبرّه الله ... »[4] .

والأخلاق الحسنة كثيرة فصلها علماء الأخلاق في مصنفاتهم ، فليُرْجَعْ إليها ، ولتجاهَدِ النفوس على التحلي بها .

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » رقم (١١٦٢) .

(٢) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » رقم (٢٠٠٣ ـ ٢٠٠٤) .

(٣) الحديث أخرجه مالك في « الموطأ » باب حسن الخلق رقم (١) ، انظر « موطأ مالك » ص (٥٦٣) ط : كتاب الشعب .

(٤) هذا جزء من حديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٦٤٧٠) (١١/ ٣٠٣) و « صحيح مسلم » رقم (١٠٥٣) .

٨ ـ إحسان الظن بالمسلمين :

على الداعية أن يحسن الظن بالمسلمين جميعاً ، وأن يُجري أحكامه فيهم على الظاهر ، ويكل أمر السرائر إلى الله تعالى ،

قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن ، إن بعض الظن إثم ... ﴾ [١] .

وجاء في الحديث الشريف :

« إياكم والظن ، فإن الظن أكذب الحديث ... »[٢] ، وجاء فيه أيضاً :

« حسن الظن من حسن العبادة »[٣] .

ولا يستلزم إحسان الظن بالناس الغفلة عن واقعهم ، والسكوت عن أخطائهم ، ولكنه قد يستلزم حَمْلَ أقوالهم وأفعالهم على الأصلح .

كما لايتعارض حسن الظن مع الحذر ، قال تعالى : ﴿ إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم فاحذروهم ﴾ [٤] وقال : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ﴾ [٥] وقد اشتُهِر عن عمر بن الخطاب

---

(١) الآية / ١٢ / من سورة الحجرات .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥١٤٣) و « الفتح » (٩/١٩٨) و « صحيح مسلم » (٢٥٦٣) .

(٣) الحديث رواه أبو داود رقم (٤٩٩٣) و (٤/٢٩٨) ط : محيي الدين عبد الحميد ، وانظر « فيض القدير » للمناوي (٣/٣٨٥) .

(٤) الآية / ١٤ / من سورة التغابن .

(٥) الآية / ٩٢ / من سورة المائدة .

رضي الله عنه ، قوله :

« لست بالخَبّ ، ولا الخب يخدعني »[1] .

٩ ـ أن يَسْتُر على الناس عيوبهم :

قال تعالى :

﴿ إن الذين يُحِبّون أن تَشِيعَ الفاحِشَةُ في الذين آمنوا ، لهم عذابٌ أليم في الدنيا والآخرة ﴾[2] .

وجاء في الحديث الشريف :

« لايَسْتُر عبدٌ عبداً في الدنيا ، إلا ستره الله يوم القيامة »[3] .

فإن الداعي في دعوته مَثَلُه مثلُ الطبيب في مهنته ، قد يَطّلع على بعض العورات ليعالجها ، فيجب عليه سَتْرها وعدمُ فَضْح صاحبها .

١٠ ـ أن يخالط الناس حيث تَحسن الخلطة ، ويعتزلهم حيث يحسن الاعتزال :

فإن مِن مستلزمات عمل الداعية مخالطة الناس لدعوتهم إلى الخير ، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ، وقد جاء في الحديث الشريف :

« المؤمن الذي يخالط الناس ، ويصبر على أذاهم ، أفضل من

---

(١) « سِراجُ الملوك » للطرطوشي ص(٥٦) نقله عنه كتاب « أخبار عمر » للطنطاوين ص(٢٦٦) الطبعة الثامنة .

(٢) الآية / ١٩ / من سورة النور .

(٣) الحديث رواه مسلم ، « صحيح مسلم » رقم (٢٥٩٠) .

المؤمن الذي لايخالط الناس ، ولا يصبر على أذاهم »[1] .

وللخلطة شروط وآداب بيَّنها العلماء ، لابد من ملاحظتها [2]، قال تعالى :

﴿ وإذا رأيتَ الذين يَخُوضونَ في آياتنا ، فأعْرِضْ عنهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غيره ﴾ [3] .

وقال أيضاً :

﴿ وقد نَزَّلَ عليكم في الكتاب أَنْ إذا سَمِعْتُم آياتِ الله يُكفَرُ بها ويُسْتَهْزَأُ بها ، فلا تَقْعدوا معهم حتى يَخوضوا في حديثٍ غَيْرِه ، إنكم إذاً مِثْلُهم ﴾ [4] .

وقد بين رسول الله ﷺ أن أول مادخل النقص على بني إسرائيل ، كان من وراء الخلطة غير المنضبطة لأصحاب المعاصي والمنكرات [5] .

ولايخفى على عاقل مايفعله الأطباء المعالجون للمرضى من الاحتياطات والتحفظ من أمراض الناس مخافة التلوث بها ، وانتقالها إليهم ...

---

(١) رواه أحمد والترمذي وغيرهما ، وهو حديث صحيح ، انظر تعليق رباح والدقاق على « رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٢) راجع باب « فضل الاختلاط بالناس ... الخ ... » في « رياض الصالحين » ص ٢٨١ .

(٣) الآية / ٦٨ / من سورة الأنعام .

(٤) الآية / ١٤٠ / من سورة النساء .

(٥) انظر الحديث الذي رواه أبو داود والترمذي ، وقال : حديث حسن ، « ... أبي داود » رقم (٤٣٣٦) والترمذي (٣٠٥٠) .

١١ ـ أن يُنْزِلَ الناس منازلهم ، ويعرف لأهل الفضل فضلهم :

ففي الحديث عن عائشة رضي الله عنها : « أمرنا رسول الله ﷺ أنْ نُنْزِلَ الناسَ منازِلَهم »[١]. وفي الحديث الآخر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده :

« قال : قال رسول الله ﷺ : ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويعرف شَرَفَ كبيرنا »[٢] .

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن من إجلال الله تعالى ، إكرامَ ذي الشيبة المسلم ، وحاملِ القرآن غير الغالي فيه ، والجافي عنه ، وإكرام ذي السلطان المُقْسط »[٣] .

فعلى الداعية ملاحظة مستويات الناس وتفاوتها ، وأن ينزل الناس منزلتهم ، « فإنما يعرف الفضل لأهل الفضل أهلُ الفضل »[٤] .

---

(١) الحديث رواه مسلم تعليقاً في مقدمة صحيحه ، وقال عنه العجلوني بعد أن ذكر له طرقاً : « وبالجملة فحديث عائشة حسن ، وقال في التمييز : وذكره الحاكم أبو عبد الله في كتابه معرفة علوم الحديث ، وقال : حديث صحيح » « كشف الخفاء » (١/٢٢٤ و ٢٢٥) .

(٢) الحديث : رواه أبو داود والترمذي وغيرهما ، وقال عنه الترمذي : حسن صحيح ، انظر « سنن الترمذي » (١٩٢١) وأبي داود (٤٩٤٣) .

(٣) الحديث : رواه أبو داود ، رقم (٤٨٤٣) ، وحسنه النووي والعراقي وابن حجر ، انظر « رياض الصالحين » ص ٧٣ ، وتعليقات رياح والدقاق .

(٤) روي هذا القول حديثاً من طريقين ، قال عنهما العجلوني في « كشف الخفاء » (١/٢٥٠) : « والحديثان ضعيفان ، ولكن المعنى صحيح كما قاله السخاوي ... » .

١٢ ـ أن يتعاون مع غيره من الدعاة ، ويشاورهم ويتناصح معهم :

قال تعالى :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [١]، وإن العمل الدعوي من أعظم أوجه البر الذي يتطلب التعاون والتشاور والتناصح ، قال تعالى :

﴿ وأَمْرُهم شورىٰ بَيْنَهم ﴾ [٢] .

وفي الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لِمَنْ ؟ قال : لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم »[٣] .

وإن العمل بهذا الأدب الدعوي يُعمِّقُ المحبة بين الدعاة ، ويَدْفع الشرور عنهم ، ويعالج إعجابَ كل ذي رأي برأيه .

إلى غير ذلك من صفات وآداب دعوية لاتخفى على العالم البصير ، والداعية الحريص ... ولابد لتحصيل مثل هذه الصفات والآداب من مجاهدة قوية مستمرة ، قال تعالى :

﴿ والذين جاهَدوا فينا ، لنَهْدِيَنَّهم سُبُلَنا ، وإنَّ الله لَمَعَ المحسنين ﴾ [٤] .

---

(١) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

(٣) الحديث رواه مسلم وغيره ، انظر « صحيح مسلم »(٥٥) .

(٤) الآية / ٦٩ / من سورة العنكبوت .

إعداد الداعية :

لابد لتكوين الدعاة ، وتربيتهم على الصفات الكريمة ، والآداب الحميدة التي سبق ذكرها من إعْدادٍ خاص للقيام بوظيفتهم على أحسن وجه .

ولعل من أبرز معالم هذا الإعداد :

١ ـ العناية بتنشئتهم على تعلم أحكام الإسلام ، وخصائصه وآدابه ، وتسليحهم بجميع المستلزمات الدعوية ...

٢ ـ العناية بمدارسة القرآن الكريم ، والسنة النبوية ، والسيرة معهم على وجه يراد منه التلقّي والتأسي والاتّباع ...

٣ ـ العناية بصحبة العلماء العاملين ، والدعاة الربانيين ، والمربيّن الصادقين ، ليقتبسوا من هديهم ، ويستفيدوا من خبراتهم وأساليبهم ...

٤ ـ تعميق معاني الأخوة الإيمانية فيما بينهم ، ليتبادلوا حقوقها ، ويشعروا بفائدتها .

٥ ـ العناية بمدارسة التطبيقات الدعوية ، ومناقشة الأخطاء لتلافيها والإفادة منها .

وما إلى ذلك من معالم لاتخفى على المهتمين ...

* * *

٢ ـ الركن الثاني :

« المدْعوّ »

تعريفه : سبق أن عرفنا المدعو في التمهيد بأنه :

« مَنْ تُوجَّهُ إليه الدعوة » وهو الإنسان مطلقاً قريباً أو بعيداً ، مسلماً أو كافراً ، ذكراً أو أنثى ...

ولايمنع هذا التعميم في تعريفه ، أن يكون الأقربون من الداعية أولى الناس بالدعوة ، وأحق بها من غيرها ، فالأقربون أولى بالمعروف ، قال تعالى :

﴿ وأَنذِرْ عَشيرَتَكَ الأقربين ﴾ (١) .

وأقرب الأقربين إلى الداعية نَفْسُه التي بين جنبيه ، قال تعالى :

﴿ قَدْ أَفلحَ من زكّاها ، وَقَدْ خابَ من دَسّاها ﴾ (٢) .

ثم أهله وأسرته ، قال تعالى :

﴿ يا أيُّها الذين آمَنوا قُوا أَنْفُسَكم وأَهْليكُم ناراً ... ﴾ (٣)

وقال :

﴿ وَأْمُرْ أَهْلَكَ بالصلاةِ واصْطَبِرْ عَليها ... ﴾ (٤) .

ثم يأتي جميع الأقارب والأرحام ، الأقرب فالأقرب ، ثم يعم الأمر الجيران وغيرهم من الناس .

---

(١) الآية / ٢١٤ / من سورة الشعراء .

(٢) الآية / ٩ ـ ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٤) الآية / ١٣٢ / من سورة طه .

وقد أسهبت في بيان هذا التفصيل والترتيب دفعاً للغفلة التي يقع فيها كثير من الدعاة اليوم ، حيث يُشْغَلون بدعوة الآخرين عن دعوة أنفسهم ، أو يهتمون بدعوة الأباعد أكثر من دعوة الأقارب .

قال تعالى :

﴿ أَتَأْمُرونَ الناسَ بالبِرِّ وتَنْسونَ أَنْفسَكُم ، وأَنْتم تَتْلونَ الكتابَ ، أَفلا تَعْقِلون ! ﴾ (١) .

حَقُّ المَدْعو :

إن للمَدْعو حقوقاً ، كما أن عليه واجبات ، ولعل أهم حق للمدعوين في عنق الدعاة :

أن يُقصَدوا ويُدعَوا ، أو يُرسَل إليهم ، وأن لاتكون الدعوة لهم عَرَضاً أو مصادفة ... كما أن من حقوقهم : أن يُحرَص عليهم جميعاً ، ولايُستهان بواحد منهم أياً كان شأنه ...

فقد أرسل الله عز وجل رسله إلى الناس ، إعطاءً لحقهم من جهة ، وإقامة للحجة عليهم من جهة أخرى .

لذا ، قرر الشارع عدم تعذيب قوم حتى تقام الحجة عليهم ، ويُعطوا حقهم في الدعوة ، قال تعالى :

﴿ وما كنا مُعَذِّبين حتى نَبْعَثَ رسولاً ﴾ (٢) .

وقد قام رسول الله ﷺ بوفاء هذا الحق ، فبشر وأنذر ، وخرج أصحابُهُ بعده بالدعوة ، فنشروا الدين في الآفاق ، وأقاموا الحجة على

(١) الآية / ٤٤ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ١٥ / من سورة الإسراء .

الناس كافة . فإن الأمة المسلمة لم توجد لنفسها ، وإنما وُجِدَت لتنقذ الناس من الظلمات إلى النور ، فكانت الأمة الداعية ،

قال تعالى :

﴿ كنتم خَيْرَ أمة أُخْرِجَت للناس ، تَأْمرون بالمعروف وتَنْهون عن المُنْكر ، وتُؤمنون بالله ﴾ (١) .

ولم يفرق رسول الله ﷺ في عرض دعوته وتبليغها للناس بين كبير وصغير ، وذكر وأنثى ، وقريب وبعيد ،

ولم تشغله دعوته للأقارب عن دعوة الأباعد ، ودعوته لعامة الناس عن دعوة زعمائهم ورؤسائهم ، ودعوة الأقوياء عن دعوة الضعفاء ، ولما وقع في شيء من ذلك اجتهاداً منه ﷺ في تقديم الأولويات ذُكِّر في ذلك ، فقال سبحانه :

﴿ عَبَسَ وتَولى * أَنْ جاءَه الأَعمىٰ * وما يُدريك لعله يَزَّكىٰ * أو يَذكَّرُ فتَنْفَعَه الذكْرى ﴾ (٢) فما كان منه ﷺ بعد ذلك أن يزهد بأحد ، حتى إنه لما لَقِيَ عند العقبة ستة نفر من الخزرج وهم يحلقون رؤوسهم ، لم يزهد بهم وهم على هذه الحال ، فأقبل إليهم وعرض عليهم دعوته ، فكانوا النواة الأولى لبيعة العقبة ، في الوقت الذي أعرض فيه عنه كثير من الرجال وزعماء القبائل ...(٣)

---

(١) الآية / ١١٠ / من سورة آل عمران .

(٢) الآيات / ١ ـ ٤ / من سورة عبس .

(٣) أخرج هذا الخبر أبو نعيم في « الدلائل » ص (١٠٥) ، ونقله الشيخ محمد يوسف الكاندهلوي في كتابه : « حياة الصحابة » (١/١٠٤) تحقيق الشيخ نايف العباس ، ومحمد علي دولة .

واجب المدعو :

إن أهم واجب على المدعو تجاه الدعوة :

أن يستجيب لدعوة الحق ، فلا يمنعه من الاستجابة مانع ، سواء أكان عادةً اعتادها ، أم جهلاً أم كِبْراً في نفسه ، أم ضعفاً في شَخْص الداعي ، أم تقصيراً فيه ، وما إلى ذلك ...

قال الله تعالى في وصف المؤمنين :

﴿ إنما كان قَولَ المؤمنين إذا دُعوا إلى الله ورسوله لِيَحْكُمَ بينهم ، أنْ يقولوا سمعنا وأطعنا ، وأولئك هم المفلحون ﴾ (١) .

كما قال في وصف الكافرين :

﴿ ويقولون سَمِعنا وعَصَيْنا ... ﴾ (٢) .

وقد أمر الله عباده المؤمنين بالاستجابة للحق فقال :

﴿ ياأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يُحييكم ... ﴾ (٣) .

وإذا كان من حق المدعو أن يُدعى ، ولا يُهمل ، فإن من واجبه أن يستجيب فلا يُعْرِض .

أصناف المدعوّين :

ينقسم الناس بعد أن تُوجَّه إليهم الدعوة ، فيستجيب لها من يستجيب ،

(١) الآية / ٥١ / من سورة النور .

(٢) الآية / ٤٦ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٢٤ / من سورة الأنفال .

ويعرض عنها من يعرض إلى أصناف متعددة ،

قال تعالى :

﴿ كان الناس أمةً واحدةً ، فبَعَثَ اللهُ النبيينَ مبشرين ومُنذرين ، وأنْزلَ معهم الكتابَ بالحق ليَحْكُمَ بين الناس فيما اختلفوا فيه ، وماختلف فيه إلا الذين أُوتوهُ مِنْ بَعْدِ ماجاءتهم البينات بَغْياً بينهم ، فَهَدىٰ اللهُ الذينَ آمنوا لما اختلفوا فيه من الحقِّ بإذنه ، والله يَهْدي مَنْ يشاء إلى صراط مستقيم ﴾ [1] .

فيكون الناس بين مهتد وضال ، ومستجيب ومعرض ، كما يكون منهم من يتظاهر بالهداية وهو على كفره ، قال تعالى :

﴿ ومِنَ الناس مَنْ يقولُ آمنا بالله وباليوم الآخر ، وماهم بمؤمنين * يُخادِعون الله والذين آمنوا ، ومايَخْدَعون إلا أنفسَهم ومايَشعُرون * في قلوبهم مرض فزادَهم اللهمَرَضاً ، ولهم عذاب أليم بما كانوا يكذبون ﴾ [2] .

وقد جاء في أوائل سورة البقرة ذكر ثلاثة أصناف من الناس : المؤمنين ـ والكافرين ـ والمنافقين .

ومِنْ تَتَبُّعِ النصوص الشرعية الواردة في أصناف الناس ، نستطيع تقسيم المدعوين إلى صنفين أساسيين ، هما :

أ ـ المسلمون أو المؤمنون : وهم المعروفون في الاصطلاح الدعوي

---

(١) الآية / ٢١٣ / من سورة البقرة .

(٢) الآية / ٨ ـ ١٠ / من سورة البقرة .

بأمة (الاستجابة) ، وهم أصناف متعددة ـ كما سيأتي معنا ـ

ب ـ الكافرون أو(غير المسلمين) : الذين يدخلون في الاصطلاح في (أمة الدعوة) ، وسيأتي معنا تصنيفهم أيضاً .

أ ـ أصناف المسلمين :

يمكننا تصنيف المسلمين من حيثيتين :

١ ـ من حيث الاهتداء والضلال .

٢ ـ من حيث قوة أو ضعف التزامهم بالإسلام .

فمن الحيثية الأولى ينقسمون إلى : (مسلمون مهتدون) ، و(مسلمون ضالون) ، وهذا التقسيم غالباً مايستعمل في مقام الحكم على العقائد ، وبيان سلامتها ، وذلك لأن المسلم قد يضل في عقيدته ضلالاً لايخرجه عن الملة الإسلامية ، كأن يكون صاحب بدعة خطيرة في العقيدة لايُكفَر بها ، وذلك كمن أنكر مسألة أصلية شرعية متأولاً بدليل أو شبهة ـ كما وقع في هذا الشيعة والخوارج والمعتزلة وغيرهم على وجه عام ، أما أفرادهم فقد يكون فيهم الضال أو الكافر بحسب مايصدر عنهم من مكفر في القول أو العمل ـ [1] .

ومن الحيثية الثانية ينقسمون إلى ثلاثة أقسام :

---

(١) راجع حكم هذه الأصناف في مختلف كتب العقائد ، وانظر « الاعتصام » للشاطبي (١٨٥/٢ ...)و (٢٠٠/٢ ـ ٢٢٣) و (٢٢٦/٢ ـ ٢٣٠) و « مجموع فتاوى ابن تيمية »(٩٩/٣٥ ـ ١٠٤) وانظر « الكفر والمكفرات » للوالد الشيخ أحمد عز الدين البيانوني ـ رحمه الله تعالى ـ وانظر « لوامع الأنوار البهية » للسفاريني (٧٦/١ ـ ٩٣) نشر مؤسسة الخافقين .

أ ـ سابق بالخيرات : وهو التقي الصالح .

ب ـ وظالم لنفسه : وهو الفاسق الفاجر .

جـ ـ ومقتصد : وهو الضعيف المتردد بين الصنفين السابقين .

قال تعالى :

﴿ ثم أَوْرَثْنا الكتابَ الذين اصطَفَيْنا من عبادنا ، فَمِنْهم ظالمٌ لنفسه ، ومنهم مُقْتَصِد ، ومنهم سابِقٌ بالخيرات بإذن الله ، ذلك هو الفضل الكبير ﴾ [1] .

وهذه الأصناف الثلاثة موجودة في أتباع الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعاً .

وقد يوجد في بعض هذه الأصناف ، بعض صفات الكافرين والمنافقين وأعمالهم مما يؤاخذون عليه ، وإن لم يخرجهم من الملة ، ومن هنا قيل : هناك كفر دون كفر ، وضلال دون ضلال [2]، ومنه سميت مشابهة المنافقين في أعمالهم (بالنفاق العملي) .

فقد ورد في الحديث الشريف : « من حَلَف بغير الله فقد كفر أو أشرك »[3] أي عَمِلَ عَمَلَ أهل الشرك ، وعُبِّر عنه بالشرك تغليظاً لفعله ،

---

(١) الآية / ٣٢ / من سورة فاطر .

(٢) انظر ما فعله البخاري في ترجمته لبعض الأبواب بقوله : « كفرٌ دون كفر ، وظلم دون ظلم » في « الفتح » (١/٨٣ و ٨٧) .

(٣) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن ، انظر « سنن الترمذي » (١٥٣٥) وجاء في التعليق على « رياض الصالحين : ص ٦٤٩ » وأخرجه أحمد (٢/٣٤ و ٦٩ و ٨٦ و ٨٧) ، وإسناده صحيح ، وصححه الحاكم (٤/٢٩٧) ووافقه الذهبي .

وتنفيراً منه [1] .

كما ورد فيه أيضاً :

« أربعٌ من كُنَّ فيه كان منافقاً خالصاً ، ومن كانت فيه خَصْلةٌ منهن ، كانت فيه خَصْلة من نفاق حتى يَدَعها : إذا ائتمن خان ، وإذا حدَّث كَذَب ، وإذا عاهد غَدَر ، وإذا خاصم فَجَر » [2] .

هذه هي أبرز أصناف (المؤمنين أو المسلمين) .

وتكون دعوة كل صنف من هذه الأصناف ، كل بحسب حاله وموقعه من الاستجابة للحق والالتزام بالهدى ، فيُدعى السابق بالخيرات إلى الازدياد من الخير والتحقق بالتقوى ، وهو ميدان فسيح لانهاية له ... قال تعالى :

﴿ ياأيها الذين آمَنوا ، آمِنوا ... ﴾ [3] وقال :

﴿ ياأيها الذين آمَنوا اتقوا الله حَقَّ تُقاتِه ، ولاتموتُنَّ إلا وأنتم مسلمون ﴾ [4] .

---

(١) يقول الإمام النووي تعليقاً على هذا الحديث : « وفسَّر بعض العلماء قوله « كفر أو أشرك » على التغليظ ، كما روي أن النبي ﷺ قال : « الرياء شِرك » « رياض الصالحين » ص ٦٤٩ ، وانظر « فيض القدير » للمناوي (١٢٠/٦) .

(٢) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٤) و (٨٩/١) و « صحيح مسلم » رقم (٥٨ و ٥٩) . ونقل الحافظ ابن حجر عن الكرماني قوله : « ... أو ليعلم منه أن بعض النفاق كفر دون بعض ، والنفاق : لغة : مخالفة الباطن للظاهر ، فإن كان في اعتقاد الإيمان فهو نفاق الكفر ، وإلا فهو نفاقُ العمل ... » كما نقل عن النووي قوله : « والذي قاله المحققون : إن معناه أن هذه خصال نفاق ، وصاحبها شبيه بالمنافقين في هذه الخصال ومتخلق بأخلاقهم » . « الفتح » (٨٩/١ و ٩٠) .

(٣) الآية / ١٣٦ / من سورة النساء .

(٤) الآية / ١٠٢ / من سورة آل عمران .

ويُدعى الظالم لنفسه إلى الرجوع عن فسقه وفجوره ، وإلى الالتزام بأمر الله وحكمه ، والتوبة من ظُلمه لنفسه .

ولكم دعا القرآن الكريم الزناةَ والمرابين والعصاة إلى التوبة !!

ويُدعى المقتصدُ إلى الثبات على الطاعة ، وتجنب المعصية ، كما يُدعى إلى الترقي بحاله إلى حال المتقين السابقين بالخيرات ، قال تعالى :

﴿ قل : ياعبادِيَ الذين أَسْرفوا على أَنْفُسِهم لاتَقْنطوا من رحمة الله ، إنَّ الله يَغفِرُ الذنوب جميعاً ، إنه هو الغفور الرحيم ﴾ (١) .

وقال :

﴿ إن الذين اتقوا إذا مَسَّهم طائفٌ من الشيطان ، تَذَكَّروا ، فإذا هم مُبْصرون ﴾ (٢) .

وبهذا تكون دعوة كل مسلم من حيث هو قائم ، فلا يُسوّى بين الأصناف الثلاثة في أسلوب الدعوة ولا فيما يُدعى إليه .

كما يُدعى المسلمون (الضالون) أي : الذين وقعوا في شيء من الضلال العقدي ، إلى تصحيح عقائدهم ، والرجوع عن ضلالهم ، قبل دعوتهم إلى الأحكام الفرعية ، والمسائل الجزئية ...فإذا ثابوا إلى طريقة أهل السنة والجماعة ، كانوا أحد الأصناف الثلاثة السابقة . وإن لهؤلاء أساليب دعوية تناسبهم في دحض شبهاتهم ، ودفع تأولاتهم الباطلة ، لاتخفى على أهل العلم والاختصاص .

---

(١) الآية / ٥٣ / من سورة الزمر .

(٢) الآية / ٢٠١ / من سورة الأعراف .

ب ـ أصناف الكافرين :

يمكن تصنيف الكافرين (غير المسلمين) إلى مايلي :

١ ـ الجاحدون الملحدون : وهم الذين ينكرون وجود الله عز وجل ويجحدونه ، كما هو حال (الدهريين) في القديم الذين كانوا يقولون كما أخبر عنهم القرآن الكريم :

﴿ إِنْ هِيَ إلا حياتُنا الدنيا ، نَموتُ ونَحْيا ، وما نَحْن بِمَبْعوثين ﴾ (١) ﴿ وقالوا : ما هي إلا حياتُنا الدنيا نموتُ ونَحيا ، ومايُهلكنا إلا الدهر ، ومالَهُم بذلك من عِلْم ، إِنْ هم إلا يَظُنّون ﴾ (٢) .

وكما هو حال الشيوعيين اليوم الذين يقولون « لا إله ، والحياة مادة » ويقولون : « الدين إفيون الشعوب » مما هو مشهور عنهم .

٢ ـ المشركون الوثنيون : وهم الذين أشركوا مع الله غيره في الاعتقاد أو العبادة ، مثل مشركي العرب وغيرهم من الوثنيين في الأمم الأخرى ، الذين أخبرنا الله عنهم بقوله :

﴿ والذين اتَّخذوا من دونه أَولياءَ ، مانَعْبُدُهم إلا لِيُقَرِّبونا إلى الله زُلْفى ، إن الله يَحكُمُ بينهم فيما هم فيه يختلفون ، إن الله لايهدي من هو كاذبٌ كَفّار ... ﴾ (٣) .

وقد يتفرع هذان الصنفان إلى صنفين آخرين :

---

(١) الآية / ٣٧ / من سورة المؤمنون .

(٢) الآية / ٢٤ / من سورة الجاثية .

(٣) الآية / ٣ / من سورة الزمر .

أ ـ كافر أصلي : وهو الذي نشأ على الكفر والجحود والوثنية .

ب ـ كافر مرتد : وهو الذي كان مسلماً ثم ارتد إلى شيء من ذلك .

ولكل صنف من هؤلاء أحكامه الخاصة به ، ويُدعوا جميعاً إلى الإيمان بالله وحده ، وإلى الرجوع عن كفرهم وشركهم ... وما أكثر الآيات التي تعرضت لدعوتهم في القرآن الكريم ! !

٣ ـ أهل الكتاب : وهم الذين لم يؤمنوا برسول الله ﷺ من أهل الديانات السابقة : كاليهود والنصارى ، وسُمّوا أهل الكتاب لانتسابهم إلى كتبهم السابقة ، وخُصّوا بهذا الوصف وإن وقع كثير منهم في الشرك والوثنية ، باعتبار الأصل ، كما خصهم الله بعدد من الأحكام ...[1]

ويُدعى هذا الصنف كغيره إلى الإيمان بالله وحده ، والإيمان بأركان الإيمان ، وأن الإسلام خاتم الأديان ، فإن هم استجابوا لذلك ، دعوا إلى غير ذلك من أعمال : كالصلاة والصيام ، فقد جاء في حديث معاذ رضي الله عنه : أن رسول الله ﷺ قال له :

« إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، فإذا هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات .. الحديث »[2] .

وهم لايخرجون في الحكم العام عن وصف الكافرين ، لأنهم لم

---

(١) من ذلك : قبول الجزية منهم في الحرب ، وحل ذبائحهم للمسلمين ، وحل الزواج من نسائهم ، إلى غير ذلك من أحكام تعرف في كتب الفقه والأحكام : بأحكام أهل الذمة ، راجع كتاب « أحكام أهل الذمة » لابن القيم وغيره .

(٢) الحديث رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٤٣٤٧) (٦٤/٨) .

يستجيبوا لدعوة محمد ﷺ ، قال تعالى :

﴿ ومن يَبْتَغِ غيرَ الإسلام ديناً ، فلن يُقْبَلَ منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (١) .

٤ ـ المنافقون : وهم الذين يُبطنون الكفر ويظهرون الإسلام ، وهم أخطر أصناف الكافرين لالتباس أمرهم على الناس ، وخداعهم لهم ، حيث يدخلون ظاهراً بين المؤمنين ، ولهذا كان جزاؤهم أشد من جزاء غيرهم ، قال تعالى :

﴿ إنَّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأسْفَلِ من النار ، ولَنْ تَجِدَ لهم نَصيراً ﴾ (٢) .

كما قال تعالى في أوصافهم :

﴿ إنَّ المنافقينَ يُخادِعونَ اللهَ وهو خادِعُهم ، وإذا قاموا إلى الصلاة قاموا كُسَالىٰ ، يُراؤون الناسَ ، ولايذكرونَ اللهَ إلا قليلاً * مُذَبْذَبين بين ذلك ، لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء ، ومن يُضلل الله فَلَنْ تَجِدَ له سبيلاً ... ﴾ (٣) .

كما قال عنهم :

﴿ وإذا لَقُوا الذين آمنوا قالوا آمنا ، وإذا خَلَوا إلى شياطينهم ،

---

(١) الآية / ٨٥ / من سورة آل عمران ، وانظر الآيات / ٨٠ ـ ٩١ / من السورة نفسها ، ففيها تعدادٌ لأصنافهم وبعض صفاتهم ، وحكمُ الله عليهم بالكفر ..

(٢) الآية / ١٤٥ / من سورة النساء .

(٣) الآيات / ١٤٢ ـ ١٤٣ / من سورة النساء .

قالوا : إنا معكم إنما نَحنُ مُسْتَهْزِئون الآيات ... ﴾ [1] .

وهؤلاء يدعون أيضاً إلى الإيمان بالله ، وترك النفاق ـ كما يُدعى غيرهم من الكافرين ـ ولكل صِنْف أسلوبه في الدعوة ، فلا يُدعى من ظهر كفره كدعوة من خفي كفره ، وهكذا ...

وإن غير المؤمنين في كل عصر ومصر ، لايخرجون عن هذه الأصناف الأساسية للكافرين ، مهما اختلفت أسماؤهم ، وتنوعت أساليبهم ، فقد وُجِدوا في زمنه ﷺ ، ويوجدون في الناس إلى يوم القيامة ...

والقرآن الكريم ، والسنة النبوية ، حافلان بأساليب دعوتهم ، ومنهج مواجهتهم ، وقد كتبت أبحاث متخصصة في أسلوب دعوة بعضهم تفيد الدعاة في دعوتهم [2] .

* * *

(١) الآيات / ١٤ ـ ٢٠ / من سورة البقرة .

(٢) من ذلك بحث « منهج القرآن في مجادلة أهل الكتاب » للباحث : أحمد عبدالله السديس ، قدمه بإشرافي إلى قسم الدعوة والاحتساب في المعهد العالي بالمدينة المنورة للحصول على درجة الماجستير ، عام ١٤٠٩ هـ .

٣ ـ الركن الثالث :

« موضوع الدعوة »

موضوع الدعوة الإسلامية هو « الإسلام الذي يُدعى الناس إليه » ولما كان الحديث عن الإسلام واسعاً ، وجوانبه متعددة ، وتتحدَّثُ عنه جميع العلوم الإسلامية ، رأيت الاقتصار في هذا المقام على ذكر مجمل لعدة أمور :

١ ـ تعريفه .

٢ ـ خصائصه .

٣ ـ مبادئه الأساسية .

وذلك تحرياً للاختصار من جهة ، ودفعاً للتكرار من جهة أخرى .

١ ـ تعريفه :

الإسلام في **اللغة** : مشتق من الاستسلام ، وهو الخضوع والانقياد ، وسمي المسلم مسلماً لخضوعه وانقياده لما جاء به محمد ﷺ .

أما في **الاصطلاح** : فله إطلاقان : عام وخاص .

أ ـ الإطلاق العام : على جميع الأديان السماوية التي اشتملت على الخضوع والانقياد لما جاء عن الله عز وجل .

ب ـ والإطلاق الخاص : على ماجاء به محمد ﷺ ، ولهذا الإطلاق تعريفان في الاصطلاح عام وخاص :

فالإسلام بمعناه العام : هو الدين الذي جاء به محمد ﷺ ، والذي يشتمل عل جانب العقيدة والشريعة والأخلاق .

والإسلام بمعناه الخاص : ما عرفه به الرسول ﷺ في حديث عمر

رضي الله عنه لما سأله جبريل عليه السلام عن الإسلام بمقابل الإيمان والإحسان ، قال :

« الإسلام : أن تشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا ... »[1] .

والإسلام بمعناه العام يشتمل على جوانب ثلاثة :

١ ـ جانب العقيدة :

ويتمثل في الإيمان وأركانه الستة التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل وهي :

« أن تؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، واليوم الآخر ، وتؤمن بالقدر خيره وشره ... »[2] .

كما تُلْحَقُ بهذا الجانب جميعُ المسائل العقدية التي جاء بها الإسلام ، والتي يطلق عليها بعضهم اسم (نظام العقيدة في الإسلام) .

٢ ـ جانب الشريعة :

ويتمثل في أركان الإسلام التي ذكرها الرسول ﷺ في حديث جبريل ، وفي جميع الأحكام الشرعية التي جاء بها الإسلام ، سواء على المستوى الشخصي والأسري ، والمستوى العام ، فيشمل مايسمى (بنظام العبادة ، ونظام المعاملة والاقتصاد ، وبنظام الأحوال الشخصية ، ونظام الحكم والسياسة ، ونظام الاجتماع ، ونظام الحسبة ، ونظام الجهاد وما إلى ذلك ...) مما أوفت ببيانه كتب الفقه والأحكام .

---

(١) هو جزء من حديث طويل رواه مسلم في صحيحه ، انظر « صحيح مسلم » (٨) .

(٢) هو الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم (٨) .

٣ ـ جانب الأخلاق :

ويتمثل في الأخلاق الكريمة والصفات الحسنة ، والسلوك المستقيم الذي جاء به الإسلام ، وبعث رسول الله ﷺ ليتممه أو يقرره ... والذي منه الإحسان الذي بَيّنه ﷺ في حديث جبريل السابق ، لما سئل عن الإحسان ، قال :

« أن تعبد الله كأنك تراه ، فإن لم تراه فإنه يراك »[1] وقد جاء في الحديث الشريف :

« إنما بُعِثْتُ لأتمم مكارم الأخلاق »[2] .

ويشمل هذا الجانب ما يعرف « بنظام السلوك أو نظام الأخلاق في الإسلام » .

٢ ـ خصائص الإسلام :

يختص الإسلام بخصائص فريدة ، ومزايا كريمة كثيرة ، تتجلى في كليات أحكامه وجزئياتها ،

ولعل من أبرز خصائصه العامة :

أ ـ الربانية .

ب ـ الكمال .

جـ ـ الوضوح .

د ـ الشمول .

---

(١) انظر الحديث السابق الذي رواه مسلم رقم (٨) .

(٢) الحديث رواه الإمام مالك في « الموطأ » بلاغاً عن النبي ﷺ ، وقال ابن عبد البر : « هو متصل من وجوه صحاح عن أبي هريرة وغيره ... » انظر « كشف الخفاء » للعجلوني (١/٢٤٤ و ٢٤٥) .

هـ ـ التوازن .

و ـ العملية .

وقد سبق معنا الحديث عن هذه الخصائص إجمالاً في بيان خصائص القرآن الكريم الذي يُعَدُّ عمدة هذا الإسلام .

كما أن هناك خصائص تفصيلية أخرى منها :

١ ـ التيسير ورفع الحرج .

٢ ـ التدرج في التشريع .

٣ ـ التوقيف في جانب العبادة .

٤ ـ الجمع بين الثبات والمرونة في الأحكام .

إلى غير ذلك من خصائص تعرف في محالها المتفرقة في كتب الخصائص ومحاسن الإسلام ، لانطيل بذكرها [١] .

٣ ـ مبادئ الإسلام الأساسية :

مبادئ الإسلام الأساسية كثيرة ، تختلف أساليب العلماء في تعدادها وتجليتها ، ويمكننا إجمال أهمها في جوانب ثلاثة :

أ ـ في جانب الصلة بالله .

ب ـ في جانب الصلة بالنفس .

جـ ـ في جانب الصلة بالآخرين .

---

(١) انظر تفصيلاً للخصائص العامة في كتاب « الخصائص العامة للإسلام » للدكتور يوسف القرضاوي ، وكتاب « خصائص الدعوة الإسلامية » لمحمد أمين حسين ، وكتاب « خصائص الشريعة الإسلامية » للدكتور : عمر سليمان الأشقر . وانظر بعض الخصائص الجزئية في كتاب « خصائص التشريع الإسلامي في السياسة والحكم » للدكتور : فتحي الدريني ، وغيره في جوانب الإسلام الأخرى .

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذه الجوانب الثلاثة مجتمعة في حديث واحد يُعدُّ من جوامع كلمه ، وهو قوله :

« اتق اللهَ حيثما كنت ، وأَتْبع السيئةَ الحسنةَ تَمْحها ، وخَالِقِ الناسَ بخُلُقٍ حَسَن »[1] .

أ ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالله : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى الإيمان بالله بأركانه الستة التي بينها حديث جبريل السابق ، وقد تضافرت الرسالات السماوية على الدعوة إلى هذا الجانب الذي لايتغير من شريعة إلى شريعة لعلاقته بالملة الواحدة .

٢ ـ الدعوة إلى أركان الإسلام الخمسة التي بينها حديث جبريل أيضاً .

٣ ـ الدعوة إلى الإحسان الذي بينه حديث جبريل أيضاً .

وإذا كانت حقيقة الدعوة إلى الإيمان والإسلام دعوةً لاعتقادات وأعمال أساسية لابد منها ، فإن الدعوة إلى الإحسان دعوة إلى حالة ضرورية لايكمل إيمان المسلم إلا بها .

ولاتخفى أثر هذه الاعتقادات والأعمال والأحوال في حياة الإنسان ، وهي بمجموعها يمكن أن يعبر عنها (بالتقوى) .

ولأهمية هذه المبادئ ، وتفضيلها على غيرها أطلق عليها ﷺ كلمة « الدين » فقال في حديث جبريل : « فإنه جبريل أتاكم يعلمكم أمر دينكم » .

---

(١) الحديث رواه أحمد والحاكم وقال : على شرطهما ، ورواه البيهقي والترمذي عن أبي ذر ومعاذ رضي الله عنهما ، وقال الترمذي : « حَسَن صحيح ... » انظر « كشف الخفاء » للعجلوني (٤٣/١) ، وانظر « سنن الترمذي » (٢٠٥٣) و (٢٣٩/٣) ط : عبد الرحمن محمد عثمان .

ولعل من حكمة سؤال جبريل عليه السلام عن الإسلام قبل الإيمان ، أن أركان الإسلام أعم وأشمل من أركان الإيمان ، لشمولها على الركن الاعتقادي الأول ، وعلى الأركان الأربعة العملية الأخرى ، فحسن البدء به ، ثم جاء الحديث عن أركان الإيمان كتفصيل وتوضيح للركن الاعتقادي الأول .

ولايفهم من هذا الترتيب أفضلية الإسلام على الإيمان ، وإنما هما لفظان متكاملان ، يكمل أحدهما الآخر ، ومن هنا قال بعض المحققين في معنى الإيمان والإسلام : « أنهما إذا اجتمعا افترقا ، وإذا افترقا اجتمعا »[1] .

ب ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالنفس : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى إعطاء النفس البشرية حقوقها كاملة ، سواء منها الحقوق المعنوية والمادية ، قال تعالى :

﴿ ونَفْسٍ وما سَوّاها ۞ فَأَلْهَمَها فُجورَها وتَقْواها ۞ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زكّاها ۞ وقد خابَ من دَسّاها ﴾[2] .

وجاء في الحديث الشريف :

« ... ولنفسك عليك حقاً »[3] .

---

(١) انظر توضيحاً لهذا المعنى وتفصيلاً فيه في « شرح العقيدة الطحاوية » ص (٣٢٨ ـ ٣٢٩) تحقيق الأرناؤوط .

(٢) الآيات / ٧ ـ ١٠ / من سورة الشمس .

(٣) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٦٨) (٢٠٩/٤) .

٢ ـ الدعوة إلى الاهتمام بواجباتها ، وأداء وظائفها ، فإن النفس البشرية مخلوق من مخلوقات الله عز وجل لها حقوقها وعليها واجباتها ، ولابد من توازن بين الحقوق والواجبات ، سواء أكانت مادية أم معنوية ، وقد جاء في الحديث السابق « فأعط كل ذي حق حقه »[١] .

وإذا كان من حقوق النفس البشرية ، حقها في الحياة ، وفي الطعام والشراب والنوم ، والدواء ، والتجمل وإنقاذها من عذاب الله في الدنيا والآخرة . وما إلى ذلك من حقوق مادية ، ومن حقوقها : الحرية ، والأمن ، والعدالة وما إلى ذلك من حقوق معنوية ...

فإن من واجباتها : طاعة الله ورسوله فيما أمرا به ، واجتناب نهيهما ، وابتعادها عن الظلم بجميع أنواعه ...

وقد أشار الحديث الشريف السابق إلى أسلوب من أساليب أداء الإنسان لحق نفسه فقال : « وأتبِعِ السيئةَ الحسنةَ تَمحُها »[٢] .

كما أنكر الرسول ﷺ صراحةً اختلالَ التوازن بين الحقوق والواجبات بالنسبة للنفس البشرية ، وذلك في حديث الرهط الثلاثة ، ففي الحديث الشريف :

« جاء ثلاثةُ رَهْطٍ إلى بيوت أزواج النبي ﷺ ، يسألون عن عبادة النبي ﷺ ، فلما أُخبروا ، كأنهم تقالّوها وقالوا : أين نحن من النبي ﷺ ، قد غُفِر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر . قال أحدهم : أما أنا ، فأصلي

---

(١) جزء من حديث شريف رواه البخاري في صحيحه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (١٩٦٨) (٤/٢٠٩) .

(٢) سبق تخريجه في ص ١٨٦ .

الليل أبداً ، وقال الآخر : وأنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال الآخر : وأنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً .

فجاء رسول الله ﷺ فقال : « أنتم الذين قلتم كذا وكذا ؟ ! أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له ، لكني أصوم وأفطر ، وأصلي وأرقد ، وأتزوج النساء ، من رغب عن سنتي فليس مني »[1] .

جـ ـ المبادئ الأساسية في جانب الصلة بالآخرين : من ذلك :

١ ـ الدعوة إلى بر الوالدين ، وصلة الأرحام ، والعناية بالأهل والأولاد ... قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ﴾[2] ، وقال :

﴿ وأولو الأرحام بعضُهم أولى ببعضٍ في كتاب الله ﴾[3] ، وقال :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قُوا أنفسَكم وأهْليكم ناراً ﴾[4] وقال :

﴿ قُلْ إنَّ الخاسرين الذين خَسِروا أنْفسَهم وأهليهم يوم القيامة ... ﴾[5] .

٢ ـ الدعوة إلى حسن الجوار ، والرحمة بالضعفاء واليتامى والمساكين ...

---

(١) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » رقم (٥٠٦٣) (١٠٤/٩) و « صحيح مسلم » (١٤٠١) .

(٢) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .

(٣) الآية / ٧٥ / من سورة الأنفال .

(٤) الآية / ٦ / من سورة التحريم .

(٥) الآية / ١٥ / من سورة الزمر .

قال تعالى :

﴿ وبالوالدين إحساناً ، وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى ، والجار الجُنُب والصاحب بالجَنْب وابن السبيل ، ومامَلكت أيمانكم ، إن الله لايحب من كان مختالاً فخوراً ﴾ [1] . إلى غير ذلك من نصوص شرعية كثيرة .

٣ ـ الدعوة إلى التآخي والتعاون والتعاطف والتحابب بين المسلمين :

قال تعالى :

﴿ إنما المؤمنون إخوة ، فأصلحوا بين أخويكم ﴾ [2]، وقال :

﴿ وتعاونوا على البر والتقوى ، ولاتعاونوا على الإثم والعدوان ﴾ [3]، وقال :

﴿ واعتصموا بحبل الله جميعاً ولاتفرقوا ﴾ [4] .

وجاء في الحديث الشريف :

« مَثَلُ المؤمنين في تَوادّهم وتَراحمهم وتعاطفهم مَثَلُ الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحُمّى »[5] .

٤ ـ الدعوة إلى بذل النصيحة ، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

---

(١) الآية / ٣٦ / من سورة النساء .

(٢) الآية / ١٠ / من سورة الحجرات .

(٣) الآية / ٢ / من سورة المائدة .

(٤) الآية / ١٠٣ / من سورة آل عمران .

(٥) الحديث متفق عليه ، انظر « صحيح مسلم مع الفتح » ٦٠١١) (٤٣٨/١٠) ، ولفظ البخاري « ترى المؤمنين ... » .

قال تعالى :

﴿ والعصر* إن الإنسان لفي خسر* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات* وتواصوا بالحق * وتواصوا بالصبر ﴾ [1] وقال تعالى :

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ، وأولئك هم المفلحون ﴾ [2] . وجاء في الحديث الشريف :

« الدين النصيحة ، قلنا : لمَنْ ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم » [3] .

٥ ـ الدعوة إلى الشورى وعدم الانفراد في الرأي : قال تعالى :

﴿ وشَاوِرْهم في الأمر ، فإذا عَزَمْتَ فتوكَّلْ على الله ﴾ [4] .

وقال أيضاً :

﴿ وأَمْرُهم شورىٰ بينهم ﴾ [5] .

٦ ـ الدعوة إلى العدل والمساواة بين الناس : قال تعالى :

﴿ إن الله يَأْمُرُ بالعَدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، ويَنْهى عن الفحشاء والمُنْكر والبَغْي ... ﴾ [6] .

---

(١) سورة العصر .

(٢) الآية / ١٠٤ / من سورة آل عمران .

(٣) الحديث رواه مسلم ، انظر « صحيح مسلم » رقم (٥٥) .

(٤) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

(٥) الآية / ٣٨ / من سورة الشورى .

(٦) الآية / ٩٠ / من سورة النحل .

وقال أيضاً :

﴿ ولايَجْرِمَنَّكم شَنَآنُ قَوْم على ألا تَعدِلوا ، اعدلوا هو أقربُ للتقوى ... ﴾ [1] وقال :

﴿ ياأيها الناس إنّا خَلَقناكم مِنْ ذَكَرٍ وأُنْثى ، وجَعَلناكم شعوباً وقبائِلَ لِتَعارَفوا إنَّ أكرمَكم عند الله أَتْقاكم ... ﴾ [2]

وفي الحديث الشريف :

« قيل للنبي ﷺ : من أكرم الناس ؟ قال : أكرمهم أتقاهم »[3] ، وفي الحديث الآخر عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إن ربكم واحد ، وأباكم واحد ، فلا فضل لعربي على عجمي ولا أحمر على أسود إلا بالتقوى »[4] .

٧ ـ الدعوة إلى معاملة الناس بالخلق الحسن : قال تعالى :

﴿ فَبِما رَحْمةٍ من الله لِنْتَ لهم ، ولو كُنتَ فَظاً غليظَ القلب لانفَضّوا من حَوْلك ... ﴾ [5] .

وفي الحديث الشريف :

---

(١) الآية / ٨ / من سورة المائدة .

(٢) الآية / ١٣ / من سورة الحجرات .

(٣) رواه البخاري ، انظر « صحيح البخاري مع الفتح » (٣٣٧٤)(٦/٤١٤) .

(٤) الحديث ذكره الهيثمي في « مجمع الزوائد » وقال : رواه الطبراني في الأوسط والبزار بنحوه إلا أنه قال : « إن أباكم واحد ، وإن دينكم واحد ، أبوكم آدم ، وآدم من تراب » ورجال البزار رجال الصحيح ، انظر (٨/٨٤) .

(٥) الآية / ١٥٩ / من سورة آل عمران .

« إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم القائم »[1] .

وجاء أيضاً :

« وخالق الناس بخلق حَسَن »[2] .

إلى غير ذلك من مبادئ كثيرة في هذا الجانب ، على الدعاة أن يتمثلوها في أنفسهم ، ويدعوا الناس إليها...

* * *

(١) الحديث رواه أبو داود ، وصححه ابن حبان ، انظر « سنن أبي داود » رقم (٤٧٩٨) ، و « صحيح ابن حبان » (١٩٢٧) .

(٢) الحديث سبق تخريجه ص : ١٨٦ .